أثر النزعة القومية في السياسة الداخلية والخارجية لصلاح الدين الايوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٨-١١٩٣م)

المدرس ارارات احمد علي

قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة سوران

المستخلص

أثرت النزعة القومية زمن صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٨-١١٩٣م) على سياسته الداخلية والخارجية، فأحيانا يكون لها جانبها المحمود والممثل في ضمان توافر الأمن والحماية للنظام الأيوبي داخليا وخارجيا، وأحايين أخرى تكون سببا لإثارة الفتنة والفرقة بين أبناء الجنس الكردي، بل وأبناء صلاح الدين الأيوبي نفسه، ويمثل الإقطاع أبرز عيوب النزعة القومية والتحيز للجنس الكردي، تلك السياسة التي لجأ إليها صلاح الدين الأيوبي، ليضمن ولاء ذويه وأمرائه، ولكن مع مرور الزمن ثبت خطأ تلك السياسة، حيث أصبح لهؤلاء ما يخشون عليه من القتال، وتقاعس كثير منهم مواجهة الصليبيين، كما أتت تلك السياسة بالفرقة بين جنود الجيش الأيوبي، وأصبح الأكراد لا يسمعون للأتراك، والعكس وهو ما كان بداية النهاية للدولة الأيوبية بكاملها التي قضى عليها هؤلاء المماليك الأتراك الذين زادت سطوتهم وعلا صوتهم في وجه سادتهم. وأما عن سياسته الخارجية، فهي أحد ميزات النزعة القومية في سياسة صلاح الدين الأيوبي الخارجية ، فقد كان اختياره بني قومه كأخيه العادل سيف الدين أبي بكر(٥٣٨-٦١٥هـ/١١٤٤-١٢١٩م) المتحدث باسم الدولة الأيوبية ومفاوض الفرنجة؛ اختيارا صائبا؛ حيث أدار المفاوضات بكفاءة عالية شهد على براعته الدبلوماسية؛ الفرنجة قبل المسلمين، ومن ذلك أيضا، إرسال السلطان صلاح الدين الأيوبي أثناء إقامته بمدينة عكا (٥٨٣هـ/١١٨٧م) ابن أخته الأمير حسام الدين عمر بن لاجين (ت٥٨٧هـ/١١٩١م) في مهمة دبلوماسية عسكرية إلى مدينة نابلس، والتي انتهت باستلام نابلس وإخضاعها إلى سلطة الدولة الأيوبية، وإحقاقا للحق ، فإن كانت النزعة القومية تضمن لصلاح الدين الأيوبي سرية المهام وإتمامها على أكمل وجه، فإن للكفاءة دور كبير في تولية المناصب والمهام، وهي عند السلطان صلاح الدين الأيوبي؛ تولد ثقة ربما تفوق العرق والقومية، وأبرز مثال على ذلك القاضي الفاضل (٥٢٦-٥٩٦هـ/١١٣٥-١٢٠٠م) وزير صلاح الدين الأيوبي وصاحب ديوان إنشائه وسره الدفين الذي قال عنه صلاح الدين الأيوبي: " أنه أقرب الأقرباء إلى قلبي وعقلي، وهو سر الأسرار وكنز الدولة، وقالَ عنهُ إطراءً وثناءً مخاطباً جنودهُ وقادته: " لا تظنونَ إنني ملكتُ البلادُ بسيوفكمْ بلْ بقلمِ الفاضلِ".

الكلمات المفتاحية: النزعة ، القومية ، مصر، الايوبية ، صلاح الدين.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٠٥/١١ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٤/١٢/٠٨

The Impact of Nationalism on the Domestic and Foreign Policy of Salah ad-Din al-Ayyubi (532-589 AH/1138-1193 AD)

Lect. Ararat Ahmad Ali
Department of History / College of Arts / University of Soran

Abstract

The nationalist sentiment during the time of Salah ad-Din al-Ayyubi (532-589 AH/1138-1193 AD) had a significant influence on both his domestic and foreign policies. At times, it had a positive aspect, ensuring the security and protection of the Ayyubid regime both internally and externally. However, at other times, it became a source of discord and division among the Kurdish people, even causing rifts within the Ayyubid family itself. The feudal system was one of the main flaws of the nationalist sentiment, which favored the Kurdish race—a policy Salah ad-Din adopted to ensure the loyalty of his relatives and emirs. Over time, however, this policy proved to be flawed, as these emirs began to fear for their own safety in battle and hesitated to confront the Crusaders. This approach also led to division among the Ayyubid army, with Kurds refusing to listen to the Turks, and vice versa, which marked the beginning of the decline of the Ayyubid state, ultimately falling at the hands of the Turkish Mamluks who grew in power and influence.

Regarding his foreign policy, nationalism played a prominent role in Salah ad-Din's diplomatic actions. His choice of his brother, Al-Adil Sif al-Din Abu Bakr (538-615 AH/1144-1219 AD), as the representative of the Ayyubid state and negotiator with the Franks was a wise decision, as he managed negotiations with exceptional diplomatic skill, which was acknowledged by both the Franks and the Muslims. Furthermore, Salah ad-Din sent his nephew, Prince Husam ad-Din Umar bin Lajin (d. 587 AH/1191 AD), on a diplomatic military mission to the city of Nablus during his stay in Acre (583 AH/1187 AD), which led to the city's capture and its submission to Ayyubid authority.

It is important to note that while nationalism ensured the secrecy of missions and their successful completion, competence played a significant role in assigning positions and tasks. For Salah ad-Din, competence built trust, often surpassing ethnic or national considerations. An excellent example of this is the vizier Al-Qadi al-Fadhil (526-596 AH/1135-1200 AD), who was Salah ad-Din's minister, head of his chancery, and his trusted confidant. Salah ad-Din described him as "the closest to my heart and mind, the secret of secrets, and the treasure of the state," and praised him to his soldiers and commanders, saying: "Do not think I conquered the lands with your swords, but with the pen of Al-Fadhil."

Keywords: **Nationalism, Sentiment, Egypt, Ayyubid, Salah ad-Din.**

Received: 11/05/2024 **Accepted: 08/12/2024**

المقدمة

تعد النزعة القومية واحدة من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسات جديدة تضاف إلى الدراسات السابقة؛ حيث أنها دائما ما تحمل وجهين لعملة واحدة، وجها إيجابيا وآخرا سلبيا، فعلى الرغم من دورها الهام في السياسة الداخلية والخارجية لصلاح الدين الأيوبي، فهي أحيانا تطل بجانبها الإيجابي؛ إذ أنها تضمن أمن الدولة والحفاظ على مقدراته، وأبرز مثال على ذلك إسناد السلطان صلاح الدين الأيوبي الحملات العسكرية والمناصب القيادية لأخوته وبنيه الذين كانوا في غالب الأحوال عند حُسن ظنه وتوقعه، ولكن خاب الظن وأظهرت النزعة القومية وجهها السلبي فيما يتعلق بإقطاع صلاح الدين لأمرائه الأكراد وأخوته وبنيه الكثير من البلدان والإقطاعات الواسعة التي كانت سببا لتمرد هؤلاء وخوفهم على ما يَمْلِكون، وقد أطل الجانب السلبي زمن صلاح الدين الأيوبي ذاته، حيث وافق مرغما على اتفاق صلح عكا، حيث لمس من أمرائه عدم استعداد لفقد إقطاع أو تضحية بمال في سبيل قتال يُنتظر فيه التضحية لا الغنيمة والعطية، واستفحلت نتائج تلك السياسة الإقطاعية الخاطئة بعد وفاة السلطان صلاح الدين، وكانت هي بداية النهاية للدولة الأيوبية بأكملها.

وأتت الدراسة في تمهيد ومبحثين، حمل التمهيد عنوان النزعة القومية: تعريفها وأثرها في السياسة والحُكم الإسلامي، ثم تناول المبحث الأول: النزعة القومية والسياسة الداخلية لصلاح الدين الأيوبي، والتي أبرزها إسناد المناصب القيادية والعسكرية لأبناء جنسه الكردي من الأمراء والأقرباء، وكذلك الإقطاع، وهو الجانب السلبي في سياسة صلاح الدين كلية.

وتناول المبحث الثاني: أثر النزعة القومية في السياسة الخارجية لصلاح الدين الأيوبي، والتي برز منها المحادثات والسفارات الخارجية، والاستخبارات وشؤونها وربما تكون النزعة القومية هنا أطلت بوجهها المضيء وجانبها الإيجابي، لأن تولية العادل الأخ الأكبر لصلاح الدين كان محل ثناء من العدو قبل القريب.

واعتمدت الدراسة في سبيل تحقيق مباحثها على عدد من المصادر والمراجع عن سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام ومصر، وأظهرت أغلبية الأحداث السياسية التي كان للنزعة القومية فيها دور وفعل.

التمهيد : النزعة القومية : التعريف والمعنى:

تُعرف النزعة القومية بأنها دعوة الرجل إلى نصرة قومه والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين([1])، كما تعرف كذلك بأنها (النُعَرَةُ) على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هَلَكَة، ومن هذا الباب الولاء والحلف، إذ نُعرة كل أحد على أهل ولائه وحِلْفه([2]). وعرفها البعض بأنها رابطة اجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معا، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة ربطا مستمرا يُبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد خطر أولئك الأفراد كأفراد أو جماعة([3]).

وتشكل النزعة القومية ظاهرتين أساسيتين في النظم السياسية والاجتماعية، وهما:

أولًا ـ آلية استخدام النزعة القومية من قبل أمة من الأمم أو أحد قادتها، وأثر ذلك في سياسة الأمة أو قائدها تجاه الآخرين.

ثانيا ـ الحراك الذي تثيره النزعة القومية تجاه سائر الأعراق والقوميات([4]).

وتحمل النزعة القومية وجهين متناقضين، فهي إما تؤدي إلى مزيد من الترابط والتماسك السياسي للكيان السياسي للأمة أو الدولة، وإما تؤدي إلى تنافر اجتماعي بين الطبقات الاجتماعية الأخرى(٥)

ولا ريب أن للنزعة القومية دورًا في سياسته الداخلية والخارجية إيجابا و سلبا وفقا لما يتبين فيما هو آت.

المبحث الأول

أثر النزعة القومية في السياسية الداخلية لصلاح الدين الأيوبي

ينبغى حين الحديث عن أثر النزعة القومية في السياسة الداخلية لصلاح الدين الأيوبي؛ الحديث عن شراكة النزعة الدينية لها، وبذلك يتسع مفهوم النزعة القومية، ويشكل مع النزعة الدينية الإسلامية؛ مفهوما واسعا يعمل تحت أمر وراية الإسلام التي لا تفرق بين لون وعرق؛ وعندئذ يكون الحديث عن النزعة، حديثا عن عمل مؤسسي وتعاوني بين الحاكم وسائر المؤسسات تتلاشى فيه سائر الأعراق والقوميات لصالح الإسلام، فمع الإسلام أصبحت النزعة تضم كافة قطاعات المجتمع في سواسية نسبية، وتقف في موازاة بعضها بعضا؛ معارضة وانفصالا وانصهارا (٦)، أي أننا أمام حديث عن آلية تعاون كافة عناصر المجتمع الإسلامي ـ وحدانا وزرافات ـ ومن ثم أثر ذاك التعاون أو عدمه في سياسة صلاح الدين الداخلية التي يبرز من بينها، ما يلي:

ـ المطلب الأول : توحيد الصفّ والقضاء على الأفكار والمعارضة:

أولا : توحيد الصف:

كانت الصفوف المبعثرة وخضوع كل دولة لحاكم غير الآخر، هي أولى المعضلات التي واجهت السلطان صلاح الدين الأيوبي، فبعدما استطاع القضاء على الدولة الفاطمية (٥٦٧هـ/١١٧١م)، وقيام دولته الأيوبية (٥٦٩هـ/١٧٣١م)، سعي بطبيعة الحال إلى الاعتماد على رجال أهل الثقة من قومه الأكراد؛ لذا أوكل السلطان الناصر إدارة الولايات إلى أقاربه الأكراد حسب درجة القربى منه واتخذوا لقب ملوك، وقام بربطهم بنظام مركزي مع رأس الدولة، فلا يصدرون كبيرة ولا صغيرة إلا بمشورته وعلمه(٧)، وهو تفعيل جلي للنزعة القومية فى أوضح صورها.

ووَجّه السلطان الناصر في إطار توحيد الصف يسانده أتباعه وعصبته مساندة تامة أنظاره صوب جنوب مصر، حيث استشعر خطرا يهدد دولته الوليدة، عندما تجمعت معظم العناصر المعارضة للوجود الأيوبي في مصر من السودانيين والفاطميين في بلاد النوبة، في محاولة منهم للخروج على الحاكم؛ بحجة تعصبه لبني جلدته وإلغائه الإقطاعات القديمة ومنحها لأهله وعساكره فقام صلاح الدين الأيوبي بتوجيه حملة عسكرية سنة (٥٦٨هـ/١١٧٣م) تحت قيادة أخيه تورانشاه(٨)، وقد نجح فيما وكل إليه وتمكن من السيطرة على بلاد النوبة واصطفافها فى الصف الواحد المتحد(٩).

وأسند صلاح الدين الأيوبي في إطار نفس الهدف مهمة جديدة لأخيه تورانشاه، ألا وهي قيادة حملة عسكرية إلى بلاد اليمن سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م)، وقد تمكنت تلك الحملة بالفعل من تحقيق المطلوب منها بكفاءة عالية، حيث أخضعت بلاد اليمن لسلطنها وأقامت الخطبة فيها للخليفة العباسي المستضيء بالله (٥٦٦-٥٧٥هـ/١١٧٠-١١٨٠م)(١٠).

وشَكّل إخضاع اليمن اللبنة الأولى في البناء المتماسك المتحد صفا واحدا ضد الصليبيين وإخراجهم من الديار الإسلامية، وكان لليمن حالة خاصة من دول الإسلام، حيث كان للسيطرة عليها عدة أسباب ودوافع، ومن أهمها:

١- توحيد البلاد الإسلامية ضد الخطر الخارجي الفرنجي الذي يستولي على معظم البلاد الإسلامية بالمشرق الإسلامي والسواحل الشامية([١١]) .

٢- الخوف من جعل اليمن بعد سقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، ملاذا للفارين والمعارضين للدولة الصلاحية الأيوبية ([١٢]).

٣- استغلال الحالة المعنوية المرتفعة للجيش الأيوبي في القضاء على دولة عبدالنبي بن مهدى في اليمن([١٣]).

وهناك مَن أرجع سبب قدوم صلاح الدين على للاستيلاء على اليمن إلى النزعة القومية لجنسه وعائلته وقوميته، حيث كانت أعين نور الدين زنكي سنة (٥١١-٥٦٩هـ/١١١٨-١١٧٤م)([١٤]) تلاحقه، فحاول ايجاد ملاذ آمن لعائلته وأتباعه([١٥])، ولكن يجب طرحه لإظهار الأدوار المزدوجة التي تلعبها النزعة القومية، فالأوقع والأقرب إلى مخاطبة العقول الراجحة، هو جعل هدف السلطان صلاح الدين الأيوبي من السيطرة على اليمن؛ دحض أى قوة مناهضة للحكم الأيوبي خاصة إذا كانت تلك القوة تتبع الدولة الفاطمية([١٦]) التي تداعت على يد صلاح الدين الايوبي([١٧]).

كما أن هناك دافع وسبب أوقع، ألا وهو رغبة السلطان الناصر السيطرة على المنفذ البحري المؤدي إلى مصر، ومن ثم السيطرة على البحر الأحمر؛ مما يُسهل كذلك طرق ويعزز المكا نة التجارية والعسكرية للدولة الصلاحية الأيوبية([١٨]).

قاد صلاح الدين الأيوبي بنفسه حملة إلى بلاد الشام سنة (٥٧٠هـ/١١٧٥م) في إطار السعي نحو توحيد كلمة المسلمين أمام أعدائهم، حيث كانت أحوال دمشق مضطربة والتناحر والصراع على السلطة هو عنوان المرحلة، ولكن مع قدوم صلاح الدين الأيوبي أشاع الأمن بين أهلها وبث الطمأنينة في النفوس، فقد نشر العدل والإحسان، وأبطل ما كان الولاة استجدوه بعد موت نور الدين زنكي من القبائح والمنكرات وفرض الضرائب الباهظة ...إلخ([١٩]).

وحارب صلاح الدين الأيوبي الجانب السلبي من النزعة للعرق والقوم في بلاد الشام حيث رفض أتباع نورالدين زنكي الخضوع لصلاح الدين، متعصبون لنورالدين وإرثه السياسي، رافضو الانضواء تحت راية صلاح الدين، فأدرك السلطان الناصر أنه لا طريق سوى القوة لدحض تلك النزعة القومية والعصبية السالبة التي تحول دون توحيد راية الأمة، فاستطاع بعد معارك عديدة السيطرة على دمشق وحمص وحماة وحلب وبعلبك، ويكون بذلك أخضع أغلب بلاد الشام لسيطرته وضمها في الصف الإسلامي، وبهذا يكون استطاع بعد معاناة انضواء النوبة واليمن والشام والمغرب تحت اللواء الإسلامي والقومية الكردية وبالأخص أبناء جلدته([٢٠])، وتكون دمشق هي الطريق نحو الانتصار الأعظم في تاريخ الأمة الإسلامية على الفرنجة في موقعة حطين الخالدة التي فتحت الطريق إلى تحرير القدس، محطما بذلك المملكة اللاتينية الأولى في فلسطين، وأضعف الإمارات الشامية، وقد اعترف الغرب بفداحة خسائرهم وبسالة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي([٢١]).

ـ ثانيا : القضاء على الأفكار المعارضة لحكمه:

واحدة من المهام التي تطلبت تفعيل الجانب الإيجابي من النزعة القومية وتعضيد موقف صلاح الدين الأيوبي في محاربته للأفكار الهدامة المعارضة المقوضة لدولته والتي رآها ممثلة في الفكر الشيعي؛ لذا حارب فلول الدولة الفاطمية، وأبرزها على الإطلاق مذهب الدولة الفاطمية المتداعية، وهو المذهب الشيعي الباطني، ولم يمكن سعى صلاح الدين الأيوبي إلى هدم المذهب الشيعي الباطني؛ وليد توليه السلطنة في مصر، حيث أنه شرع في هدم هذا المذهب عقب تقلده الوزارة زمن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (٥٤٦-٥٦٧هـ/١١٥١-١١٧١م)([٢٢])، ففي العام (٥٦٥هـ/١١٧٠م) بدأ تنفيذ مخططه الفعلي في تقويض الدولة الفاطمية ومذهبها الشيعي، وفي المقابل تقوية المذهب السني في مصر، وقد ساعده في هذا؛ الإشراف على القضاء والدعوة معا، فأمر بذكر الخلفاء الراشدين في خطب الجمعة، كما قام بنزع المناطق الفضية المتواجدة بمحاريب مساجد القاهرة، والتي تحمل أسماء الخلفاء الفاطميين، وقام بالتشكيك فيما يدعون من انتسابهم للرسول الكريم وآل بيته؛ من أجل نزع أية عاطفة نحوهم فيما يجريه عليهم من أحكام وأقضية ([٢٣]).

ونفذ أتباع صلاح الدين الأيوبي مخططه بدقة بالغة، وكانوا له معينا رئيسا، فقد أمرهم بهدم دار المعونة؛ المجاورة للجامع العتيق في مصر؛ حتي تُمحى أي تذكرة بالفاطميين خاصة لو كانت من محاسنهم كدار المعونة([٢٤])، وتم بناء مدرسة للمذهب الشافعي، كما تم بناء دار الغزل المجاورة لباب الجامع وخصصها للمذهب المالكي وهي المعروفة بـ(المدرسة القمحية)، كما تم تحويل دار سعيد السعداء الفاطمية إلى خانقاه([٢٥]) للصوفية، وهي أول خانقاه في مصر، كما أبطل مجالس الدعوة من القصر والجامع الأزهر([٢٦]).

كما أَتْبَعَ الناصر صلاح الدين الأيوبي هذا التغيير المذهبي؛ تغييرا فى رجال القضاء؛ فعزل جميع القضاة الشيعة الإسماعيليين، وفوَّض قضاء مصر سنة (٥٦٦هـ/١١٧١م)([٢٧]) للقاضي الكردي صدر الدين أبى القاسم بن درباس الشافعي(٥٧٦- ٦٥٩هـ/ ١١٨٠-١٢٦١م)([٢٨]).

وقد استطاع الناصر صلاح الدين بهذه الإجراءات الدينية؛ فرض سيطرته على النواحي الدينية، كما ضمن تأمين مراسلات الدولة بالاستعانة بأوفى رجاله، وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي اللخمي(٥٢٦-٥٩٦هـ/١١٣٥-١٢٠٠م)([٢٩])، عينه رئيسا لديوان الإنشاء (الرسائل)([٣٠])، وكان محل ثناء وتقريظ دائمين من السلطان صلاح الدين الأيوبي، وكان المتحدث الرسمي بلسانه داخليا وخارجيا؛ مما حدا ببعض المؤرخين إلى القول بأنه أعز عليه من أهله وولده !!([٣١]) وكثيرا ما كان يقول لعصبته وأتباعه: " لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم الفاضل"([٣٢]).

وأتت الخطوة الحاسمة مع العام (٥٦٧هـ/١١٧١م) عندما قطع صلاح الدين الخطبة في مصر للخليفة العاضد الفاطمي، وأقامها للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله (٥٤٠-٦٧٩هـ/١١٤١-١١٨٠م)([٣٣])، وأعاد السواد شعار العباسيين([٣٤])؛ حتى يصبغ على حكمه صبغة شرعية؛ وتكون المعارضة حينئذ للشرع لا للسياسة والمنهج، ولم تكد تمضي أيام على قطع الخطبة للفاطميين حتى اغتيال العاضد لدين الله آخر الحكام الفاطميين (١٠محرم٥٦٧هـ/١٣أيلول١١٧١م)؛ فأمر صلاح الدين بإرسال الكتب إلى البلاد وسائر الأمصار الإسلامية بنبأ وفاته، وإقامة الخطبة رسميا للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله،

وكتب صلاح الدين الأيوبي بذلك صفحة النهاية للخلافة الفاطمية([٣٥])، لتبدأ مرحلة جديدة من التاريخ الإسلامي، وهي مرحلة الدولة الأيوبية.

ولم يكن سقوط الخلافة الفاطمية يعني نهاية ما سبق الدولة الأيوبية كلية، فقد كان بعض ممن ينتسبون إلى الفاطميين بالمرصاد لصلاح الدين الأيوبي، وأبرز هؤلاء فرقة الحشاشين الإسماعيلية الباطنية([٣٦])، فكانوا لا يتورعون في التعاون مع الصليبيين ضد صلاح الدين الأيوبي، وبالفعل وبعد وفاة نور الدين محمود، تصدعت الجبهة فى بلاد الشام ومصر، وكان صلاح الدين في مصر آنذاك، واشترك الحشاشون فى مؤامرة ضد مسألة الجهاد الإسلامي؛ حيث قام (عموري الأول) ملك بيت المقدس الصليبي (١١٣٦-١١٧٤م)([٣٧]) وأمير صقلية([٣٨]) بالهجوم على مصر، وحين تقدم صلاح الدين الأيوبي لصد الهجوم يتآمر الحشاشون بالقاهرة ضد الحكم الأيوبي؛ ليطيحون به، وإعادة الفاطميين لسُدة الحكم؛ إذ اتفق الصليبيون والحشاشون على موعد المؤامرة في (شهر نيسان/أبريل ٥٦٩هـ/١١٧٤م)([٣٩])، وسر اختيار هذا التوقيت، لأن العساكر في مثل هذا الوقت من العام، نكون متباعدة في نواحي إقطاعاتهم، وعلى مقربة من موسم غلاتهم، ولا يتواجد منهم في القاهرة إلا القليل([٤٠])، ولكن مؤامرة الحشاشين والفرنجة، فشلت بسبب وفاة (عموري الأول) ملك بيت المقدس وتأخر وصول الأسطول الحربي الصقلي بقيادة (تانكرد) حتى حزيران/ يونيو من السنة ذاتها، وخرج صلاح الدين منتصرا ظافرا([٤١]).

وتعرض صلاح الدين لمحاولتي اغتيال من قبل الحشاشين، ولكن عصبة السلطان الظافر أجهضت المحاولة، إذ إنه فى تاريخ (جمادى الآخرة ٥٧٠هـ/كانون الأول-ديسمبر١١٧٤م) كان صلاح الدين يحاصر حلب، فاتفق سعد الدين كمشتكين (ت٥٧٣هـ/ ١١٨٠م)([٤٢]) أتابك([٤٣]) حلب مع زعيم الحشاشين راشد الدين سنان(٥٢٤-٥٨٩هـ/١١٣٠-١١٩٣م)([٤٤]) على قتل صلاح الدين الأيوبي مقابل أموال وضياع يؤديها أتابك حلب إلى زعيم الحشاشين، واستطاعوا التغلغل إلى معسكر السلطان الناصر، غير أن أحد أمراء الجيش الأيوبي عرفهم وفضح أمرهم، فقتلوه، ولكن جند السلطان الناصر هبوا جميعا، فقتلوا قائدهم وبقية الفرقة الحشاشة!!([٤٥]).

وكانت محاولة الاغتيال الثانية فى حلب أيضا (ذو القعدة ٥٧١هـ/آذار-مارس١١٧٦م)، وذلك أثناء حصار قلعة عزاز([٤٦]) إحدى قلاع حلب الهامة، وكانت تلك المحاولة أشد خطورة من الأولى، إذ استطاع الحشاشون ارتداء الزى العسكري الأيوبي والتغلغل داخل المعسكر والانضمام إلى صفوف الجند المقاتلين؛ حتى تواتيهم الفرصة الملائمة؛ لاغتيال السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، وبالفعل هاجمه أحد الحشاشين، وضربه بسكين على رأسه، ولكنها لم تصب السلطان، لأنه كان لا ينزع الزردية (الدروع)([٤٧]) عن بدنه ولا صفائح الحديد من فوق رأسه، وحينئذ تقدم حشاش آخر وجرح السلطان الناصر في وجهه الذى سال منه الدماء، ولكن استطاع السلطان الناصر إمساكه بقوة إلى أن أدركه أحد القادة وقتله، ولكن حشاش آخر هاجم صلاح الدين، فاعترضه أحد أمراء السلطان وقتله غير أنه أصيب بضربة سكين توفي على أثرها، وهاجم حشاش آخر لقتل صلاح الدين ولكنه قُتل على الفور، ولما رأى حشاش منتظر تنفيذ مهمة الاغتيال ذلك القتل لأقرانه، حاول الهرب، ولكن لحقه الجنود وأردوه قتيلا([٤٨])، على الرغم من أن هذه الحكاية التاريخية تبدوا أسطورية لكن ما يهمنا هنا أن تمكن صلاح الدين من انقاذه من هذه الهجمات كانت بسبب وجود رجال من قوميته من بني جلدته؛ إذ كان يعتمد عليهم بشكل

كامل، وهكذا يتبين إلى أي مدى كانت فرقة الحشاشين تشكل خطرا على الدولة الأيوبية الوليدة ، فحاصر السلطان الناصر قلعتهم (مصياف)([٤٩]) وعندما أحس قائدهم أن صلاح الدين الأيوبي صعب المنال ومع كل يوم تزداد عصبته وقوته، وهو عازم على القضاء عليهم طالما ظلوا تهديدا للجيش المجاهد، فعرض الصلح ولم يوافق عليه السلطان الناصر إلا مرغما تحت وطأة الإعداد لقتال الفرنجة، الهدف الرئيس والغاية المبتغاة ([٥٠]).

ـ المطلب الثاني : السياسات الداخلية الإصلاحية (إداريا واقتصاديا واجتماعيا):

أحدث الأيوبيون تطورات إدارية هامة مخالفة ما كانت عليه الدولة الفاطمية، فخالف الجهاز الإداري للدولة الأيوبية الكثير من النظم الإدارية المتواجدة أيام الفاطميين وأتبع القليل منها، ولعل تلك المخالفة الكلية والشاملة ([٥١]) تعود إلى الخصومة الفكرية والمذهبية بين الفاطميين وصلاح الدين الأيوبي؛ بالإضافة إلى تطلعات صلاح الدين السياسية وطموحه في تأسيس دولة خاصة به وبقومه على حساب الدولة الفاطمية، فالفاطميون شيعي المذهب؛ وهو ما رآه صلاح الدين الأيوبي وفقا لفكره سني المذهب؛ خطرا على البلاد دينيا واجتماعيا وسياسيا([٥٢]).

لذلك، أتى صلاح الدين الأيوبي حاملا معه روحا إدارية جديدة، تعود بأصولها إلى أسلافه من السلاجقة([٥٣]) والزنكية(الأتابكية)، وكان أحد أبرز التعديلات الإدارية منصب نائب السلطنة، إذ أن السلطان صلاح الدين كان في حاجة إلى هذا المنصب، لأنه كان دائم الخروج لجهاده ضد الصليبيين، فاقتضت الحاجة إلى وجود مَنْ ينوب عن السلطان أثناء غيابه ([٥٤]).

وقام صلاح الدين بتقسيم الدولة إلى عدد من الأقاليم الإدارية يتمتع كل إقليم منها بإمكاناته الخاصة وطابعه المميز، مثل مصر والشام والجزيرة الفراتية والنوبة والمغرب واليمن والحجاز، فقد كانت القاهرة مركز حكومته، يقيم فيها نوابه ووزرائه، ومنها تصدر أوامره إلى مختلف الأقاليم، وكانت اليمن والحجاز والنوبة وليبيا تابعة له من الناحية الاسمية فقط، في حين كانت بلاد الشام محور حروبه وجهاده ضد الصليبيين ([٥٥]).

وكان صلاح الدين يترك الإدارة المحلية لمجموعة منتقاة من الولاة بعدما يعتمد سياسات التخطيط والتنفيذ والإشراف، وقد اعتمد (اللامركزية الإدارية) آلية في سياسته الداخلية، حيث يقوم بترك كل إقليم يدير أموره وفقا لإمكاناته وظروفه، وهو ما يتوافق مع فكر صلاح الدين الأيوبي نفسه، الذي لم يضع كافة السلطات فى يديه، فعلى الرغم من إدارته الحكومة المركزية، فإنه فطن إلى أن توزيع السلطات على الولاة؛ يجعل من كل سلطة رقيب على نظيرتها، وموازنة لها في ممارسة اختصاصاتها، ناهيك على أن تلك السياسة الإدارية، تنتج عملا متقنا وفى سرعة متناهية([٥٦]).

وأسند صلاح الدين مناصب القيادة إلى أولاده وأقربائه وخلصائه، بُغية حماية نظامه ومنهجه فى الحُكم والقيادة، مع هذا فقد كان لا يتهاون مع المسيء والمخالف لحكمه ومن يتهاون في العمل فيكون العقاب فى انتظاريه حتى لو كان ابنه، إذ عزل ابنه الملك الظاهر غازي عن إمارة حلب وأعطاها لأخيه العادل، هنا نرى على الرغم من انه قام بمعاقبة ابنه بالعزل الا انه سلم الحكم لأخيه؛ لكي لا يخرج الامر من بيت الكردي، مع هذا في بعض الأحيان يسلم دفة الحكم الى غير ابناء جلدته وذلك إذا ضم إمارة إسلامية يُبقى على حكامها، إذا وافقوا على الدخول في تبعيته وتنفيذ سياسته التي تخدم الإسلام ومجتمعه، كما

كان حكيما إذا خرج عليه أحد الولاة، فيبدأ بالأساليب السياسية قبل اتخاذ قرار عزل أو إقالة مثلما فعل مع تقى الدين عمر، حينما أراد الخروج على طاعته والتوجه إلى المغرب بسبب عزله عن ولاية مصر([٥٧]).

ولكن الجانب السلبي للنزعة القومية ألقى بظلاله على الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين، وأرجع المؤرخون أن الجانب السلبي للنزعة القومية كانت سببا في تفتت الدولة بعد وفاته مباشرة، حيث قُسمت الدولة بين أبنائه وأخواته، وقيام الحروب بينهم بدافع التملك والتوسع، وما ذلك إلا رد فعل لسلبيات اتباع العصبية القبلية سياسة في الحُكم والإدارة، ومحاولته بقاء السلطنة والأقاليم الكبرى في يد أبنائه؛ لإدراكه أن إخوته وأبناء عمومته أرباب تطلعات وطموحات سياسية لا يوقفها سوى حياته فحسب، فأقطع ابنه الأفضل (٥٦٥-٥٩٢هـ/١١٦٩-١١٩٦م)([٥٨]) دمشق ومصر لأبنه العزيز (٥٦٨-٥٩٥هـ/١١٧١-١١٩٨م)([٥٩]) بعد إقالة صاحب حماة تقى الدين عمر(٥٣٤-٥٨٧هـ/١١٤٠-١١٩١م)([٦٠]) من الوصاية عليه، كما عهد لأبنه عبد العزيز السلطنة من بعده، كما أقطع حلب لأبنه الظاهر (٥٦٨-٦١٣هـ/١١٧٢-١٢١٦م)([٦١]) بعدما انتزعها من أخيه العادل (٥٤٠-٦١٥هـ/ ١١٤٥-١٢١٨م)([٦٢]) وعوضه بمنصب شرفي، وهو نائب له([٦٣]).

وأرى هنا أن السلطان ضيق مفهوم العصبية، إذ لم يعد جامعا شاملا لبني جلدته من الأكراد، بل أنه أخص أبنائه بالإقطاع والتوصية بالحُكم والسلطنة دون غيرهم، وهو إعلاء جانب الثقة على جانب الكفاءة؛ وهو الأمر الذي فتت الدولة الأيوبية فيما بعد، ويجب الإشارة هنا إلى أن توزيع الأقاليم على أبنائه والتوصية بالسلطنة لابنه العزيز دون وضعها موضع للشورى والاختيار، كان سببا رئيسيا في الفرقة والصراع على الحكم. ولكن لا ينبغي تحميل صلاح الدين الأيوبي خطايا نظام التوريث الذي ابتدعه معاوية بن سفيان (٦٠هـ/٦٨٠م) في الدولة الإسلامية؛ ذلك النظام الذي استمر في كافة الدول الإسلامية اللاحقة على الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦٢-٧٥٠م)، فالنزعة القومية كما أن لها جوانب إيجابية في ضمان الحاكم إلى حد كبير أمن البلاد، إلا أن عواقبه وخيمة فيما ينتج عنه من صراعات سياسية على كرسي الحُكم والمُلك؛ والذي غالبا يؤدي إلى هلاك الدولة وانهيارها، وكان من المنتظر أن يتبع صلاح الدين التشريع الإسلامي الأصيل حينما تولى المناصب وسدة الحكم، ألا وهو الشورى بين جماعة المسلمين، وهو ما لم يكن !!.

ويأتى دور الحديث عن السياسة الإصلاحية الاقتصادية التي استعانت في إدارتها بمجموعة من المقربين، الذين أبلوا بلاء حسنا، جاعلين من العصبية دورا إيجابيا فيما يتعلق بمسألة الإصلاح الاقتصادي، فقد كانت الزراعة أولى اهتمامات صلاح الدين، حتى يُجنب البلاد ويلات المجاعات، فاهتم اهتماما بالغا بالزراعة وتطوير وسائل الري واستنبات نباتات جديدة، وقيام شراكة بين مصر والشام في هذا المجال، وقد نجحا في تموين الجيش المجاهد بالتموين اللازم، وتلبية كافة احتياجاته من المواد الغذائية والتموينية، وكان لهذا القطاع دور رئيس في معركة الجهاد ضد الصليبيين([٦٤]).

وراجت التجارة عصر صلاح الدين وبالأخص في مصر التي شهدت نشاطا ملحوظا وازدهرت في كافة الأقاليم والمدن المصرية، فمدينة القاهرة كانت مفعمة بالحركة والنشاط، فيذكر لنا القاضي الفاضل وزير صلاح الدين الأيوبي أن سواحل مدينة القاهرة (٥٨٧هـ/١١٩١م) كانت تزخر بالسفن الحاملة للبضائع، كما كانت مدينة الإسكندرية ذات رخاء تجاري منقطع النظير، ففي شتاء (٥٨٣هـ/١١٨٧م) كان يوجد في هذا الميناء سبع وثلاثون سفينة قادمة من أوروبا([٦٥]).

لقد كان الازدهار التجاري يعكس نمو المبادلات في مصر على الصعيدين الداخلي والخارجي، فعلى الصعيد الداخلي ازدهرت التجارة بين أطراف الدولة الصلاحية التي يقودها إخوة وأبناء وأقرباء صلاح الدين الأيوبي، وهو ما سهل التنقل والمبادلة زمن صلاح الدين، فقد أشرف ولاة كل إقليم على متابعة العملية التجارية بنفسه، فالسفن الكبيرة التي كانت عند ساحل القاهرة (٥٨٧هـ/١١٩١م) كانت تحمل الكثير من منتجات الريف المصري من أغذية وغيرها، تمهيدا لتصديرها لمن يحتاجها من أقاليم الدولة الصلاحية([٦٦])، وهو ما يعكس الدور الحميد والمؤثر للعصبية على سهولة ومرونة العملية التجارية الذى سرعان ما انقلب عقب وفاة السلطان صلاح الدين !!.

كما اهتم صلاح الدين بصناعة السلاح والمنسوجات والأقمشة والملابس الحريرية وسروج الخيل وصناعة الزجاج، كما انتشرت في عهده صناعة الخزف والسفن والأساطيل، ولكن تبقى صناعة السلاح ذات الحظوة ونصيب الأسد من دور الصناعة، نظرا لطبيعة المرحلة والجهاد ضد الصليبيين، فكان في القاهرة مصنعا كبيرا للسلاح بجميع أنواعه، وخُصص له سوقا مخصوصا، لشراء الأسلحة ومستلزمات الجهاد([٦٧])، ولا زال السوق باقي باسمه (سوق السلاح) دون وظيفته حتى الآن.

وننتقل الآن إلى أثر النزعة القومية على الوضع الاجتماعي، وهو أثر كبير وعظيم، وأحدث تحولا جوهريا في ديموغرافية المدن الخاضعة للدولة الصلاحية وتأتى القاهرة أبرز النماذج وأفصحها، فقد مارس الناصر صلاح الدين سياسة إحلال عناصر سكانية محل الأخرى، حيث أقام الأقرباء وذوى القربى محل الثقة، بدلا عن الفاطميين، فقام هنا باستخدام النزعة القومية استخدام سياسي تأميني، للحفاظ على مقومات الدولة الصلاحية، فقام بنفي الفاطميين من القاهرة إلى خارجها([٦٨]).

وسانده فى تلك الخطوة عصبة الناصر صلاح الدين ورجاله من بني عمومته وأبنائه؛ وذلك عقب ثورة العبيد في السودان سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)([٦٩]) التي على أثرها قرر الناصر صلاح الدين التخلص من جزء كبير من أتباع الفاطميين وشيعتهم، وبالأخص المشاركون فى الثورة ضده، فقامت عصبة السلطان صلاح الدين بالتخلص من أتباع الفاطميين وتحديد إقامتهم؛ حتى يضمنوا الأمن للدولة والسلطان([٧٠]).

كما كان بناء المدارس نقلة اجتماعية كبيرة، فقد نشط من ورائها أمران:

١- تكوين طبقة مثقفة واعية تكون له مع عصبته سندا قويا، يرتكز عليها في منهجه وحكمه وقيادته.

٢- القضاء على الأفكار الهدامة التي تراها الدولة خطرا على سياستها ومقومات سلطانها ([٧١]).

وكانت أولى المدارس التي أنشأها صلاح الدين في مصر هي المدرسة الناصرية بالفسطاط([٧٢])، وكان يستقطب لها وغيرها من المدارس اللاحقة علماء وطلاب من العراق وشمال إفريقية، وكان ينفق عليها انفاقا سخيا، وخصصها للشافعية([٧٣]).

واقتدى أمراء وقادة وأقرباء السلطان صلاح الدين الأيوبي، فساروا على نهجه وأهدافه الاجتماعية والسياسية المبتغاة من بناء المدارس، فبنى تقى الدين عمر مدرستين في الفيوم، إحداهما للشافعية والأخرى للمالكية، كما بنى مدرسة في الرها، وأنشأ المدرسة التقوية في (دمشق)، والمدرسة المظفرية ([٧٤]) بمدينة (حماة)([٧٥]).

كما أنشئت أخت السلطان الناصر (ست الشام) (٥٤٢-٦١٦هـ/١١٤٥-١٢٢٠م)[٧٦] مدرستين (البرانية والجوانية) لدراسة المذهب الشافعي بدمشق، كما شيدت أخت السلطان السيدة (ربيعة خاتون)[٧٧] مدرسة الصاحبة بمدينة دمشق، وخُصصت لدراسة المذهب الحنبلي [٧٨].

ولم تكن بالقطع تلك كافة المظاهر الاجتماعية، فهناك بناء المستشفيات والمساجد والخانات وخوانق الصوفية ...إلخ، وقد اتبعت عصبة من أبناء قوم السلطان خطاه وسياساته خطوة خطوة؛ وهو ما يبرز أن أنصار السلطان الظافر (٥٦٨-٦٢٧هـ/١١٧٣-١٢٣٠م)[٧٩] كان لهم دور واضح فى تعضيد مُلكه وتأكيد سياسته سواء الداخلية أو الخارجية.

المبحث الثانى

(أثر النزعة القومية في السياسة الخارجية لصلاح الدين الأيوبى)

وتعد السياسة الخارجية واحدة من أهم التنظيمات الهيكلية لأى دولة من الدول، ولم تكن الدولة الصلاحية الأيوبية بخارج تلك القاعدة السياسية الراسخة، بل زادت أهميتها في ظل تلك الدولة التي كان عصرها جزءٌ من عصر الحروب الصليبية، الذي تعددت فيه السفارات وتنوعت، وفقا لمقتضيات الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة الأيوبية[٨٠]، وكان اختيار السفراء يتم وفق شروط قاسية، لذا لا بد من تولية مَنْ يكون ولائه منقطع النظير للسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي والدولة الأيوبية، وهو تفعيل ودور جديد للعصبية والنزعة القومية، وبالفعل فقد كان لصلاح الدين الأيوبي جماعتان يلعبان كافة الأدوار التي تحتاج ولاءً مطلقا ووفاءً منقطع النظير، وهاتان الجماعتان، هما: الصلاحية والأكراد، فالصلاحية جماعة ذات صبغة عسكرية منسوبة بالقطع إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، وتكونت تلك الجماعة بتوجيه مباشر منه، وهو تقليد سائد آنذاك، حيث يحيط الحاكم نفسه بمجموعة من أخلص الخلصاء ليكون له عصبة وقوة، وعليهم تنفيذ كافات سياسات الدولة بحرفية ودقة بالغة سواء ما كان منها داخليا أو خارجيا[٨١].

وأما الجماعة الثانية، فهى جماعة (الأكراد)، ويربط بين أفرادها العصبية والنزعة القومية الكردية خالصة، فالجميع ينتمى إلى أصل واحد، وهو الأصل الكردي، وهو ذات الأصل للسلطان الناصر صلاح الدين الأبوبي وكافة الأسرة الصلاحية الأيوبية، وكانت تلك الجماعة محل ثقة في مهام السياسة الخارجية سواء ما تعلق بالسفارات والوفود أو بالاستخبارات العسكرية[٨٢]، واللذان يشكلان أهم وأخطر مهام السياسة الخارجية، وهو ما يتبين فيما يلي:

ـ المطلب الأول: السفارات والمراسلات الخارجية:

اعتمد صلاح الدين الأيوبى فى مراسلاته وسفاراته الخارجية على أقربائه والأمراء من أهل بيته خاصة؛ لضمان الولاء المطلق وكونهم درعا حاميا يحمى الدولة الأيوبية قبل شخصه وذاته وفي سبيل ذلك أقطع دمشق لأبنه الأفضل، وأقطع أربل[٨٣] وشهرزور[٨٤] لزوج أخته السلطان مظفر الدين كوكبري (٥٤٩- ٦٣٠هـ/١١٥٣-١٢٣٢م)[٨٥]، وأقطع ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب (حران[٨٦] والرها[٨٧]، وهكذا حتى يضمن سياسة داخلية وخارجية تؤدى على أكمل وجه وأتمه [٨٨].

ولم تقتصر دائرة الإقطاع على الأقرباء وأسرته، بل أقطع السلطان الناصر أرباب الأصل الكردي وغيرهم؛ ليشمل عددا كبيرا من الأمراء الأتراك السلاجقة والأكراد والتركمان، والذين كانوا كذلك محل لإقطاعاته وهباته، ومن ذلك إقطاع

نابلس([٨٩]) وأعمالها الذي يمنح للأمير سيف الدين على بن أحمد الهكاري المعروف بابن المشطوب (٥٢٤-٥٨٨هـ/١١٣٤-١١٩٢م)([٩٠])، وهو من الأكراد الهكارية([٩١])، كما أقطع (نصيبين)([٩٢]) لأبى الهيجاء السمين(ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م)([٩٣]) ، مقدم الأتراك الأسدية([٩٤]).

وتأتي مراسلات وسفارات القاضي الفاضل ابن شداد أحد أهم رجال صلاح الدين الأيوبي، صاحب ديوان الإنشاء، أوضح المعبرين عن السياسة الخارجية الأيوبية وحافظ سرها الأمين، فقد أوفد إلى الإمبراطور البيزنطي أندرونيكوس الأول كومنيوس (١١١٨-١١٨٥م)؛ بهدف الحفاظ على مصالحهما المشتركة المتمثلة في مقاومة اللاتين بشكل عام، وسلاجقة الروم بآسيا الصغرى بشكل خاص، وعُد الصليبيون تلك السفارة بمثابة خيانة للدين المسيحي، لأن الإسلام هو العدو الأول للبيزنطيين منذ ظهوره بجزيرة العرب، فكيف يُبدل أندرونيكوس الأول كومنيوس وخليفته إسحاق الثاني أنجيلوس (١١٥٦-١٢٠٤م)؛ سياسة العداء البيزنطي للإسلام إلى سفارات ووفود مع عدو الصليبيين الأول صلاح الدين الأيوبي!!([٩٥]).

وتكمن أهمية السفارة والمراسلات بأنها تحمل أسرارا وخططا عسكرية لا ينبغي الاطلاع عليها إلا عصب شديد من عصبة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وبالقطع لم يجد السلطان صلاح الدين أفضل من القاضي الفاضل، الذي عده السلطان كاتم أسراره وأهم وأعز من ولده وأهله([٩٦])؛ لذا كانت وفادته (٥٧٠هـ/١١٧٤م) بتلك الرسالة إلى الخليفة العباسي المستضيء بالله، والتي منها:

ولا خفاء أن الفرنج بعد حلولنا بتلك الخطة قاموا وقعدوا، واستنجدوا علينا أنصار النصرانية في الأقطار، وسيروا الصليب، وهددوا طاغية كفرهم بأشراط القيامة، ونفذوا البطارقة والقسيسين .... وقالوا: إن الغفلة إن وقعت أوقعت فيما لا يُستدرك فارطة. وإن كلا من صاحب قسطنطينية، وصاحب صقلية، وملك الألمان، وملوك ما وراء البحر، وأصحاب الجزائر كالبندقية، والبيشانية، والجنوية، وغيرهم؛ أدركتهم عيوننا يتأهبون بعمائرهم البحرية، والأساطيل القوية، فلا يشغلنا هذا أو يثنينا عن جهادنا بل يزيدنا جلدا وعزما، فالإسلام يا أمير المؤمنين أعز ناصرا، لاسيما وهم ينصرون باطلا، وهو ينصر حقا، وهو يعبد خالقا وهم يعبدون خَلْقا([٩٧]).

وحملت إحدى المراسلات إلى الخليفة العباسي، شرحا هندسيا لحصن بيت الأحزان بدمشق، ذاك الشرح الذى أتت به عيون السلطان الناصر، وغنى عن البيان أن هذا سر من أسرار العسكرية، ولا يحمله إلا مَنْ كان ولائه غير محدود بحدٍ من الحدود، وفي تلك الرسالة المؤرخة سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م):

" وعُرض حائطه إلى ان زاد على عشرة أذرع وقُطعت له عظام الحجارة؛ كل فص منها من سبع أذرع إلى ما فوقها وما دونها، وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر، لا يستقر الحجر في مكانه، ولا يستقل في بُنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها، وفيما بين الحائطين حشو من الحجارة الصُّم، المزعم بها أنوف الجبال الشُم، وقد جعلت تسقيه بالكأس الذي إذا أحاطت قبضته بالحجر مازجه بمثل جسمه، وصاحبه بأوثق واصلب من جرمه، وأوعز إلى خصمه من الحديد بألا يتعرض لهدمه"([٩٨]).

وكان مبنيا على تل وفيه صهريج، لما فتح المسلمون الحصن رموا فيه ما يناهز ألف قتيل، وجابة محرقة بالنار ... وكان به ألف زردية، والمقاتلة ثمانون فارسا بغلمانهم، وخمسة عشر مقدما للرجال مع كل مقدم خمسون رجلا، هذا إلى الصُناع ما

بين بنّاء ومعمار وحداد ونجار وصيقل وسيوفى وصُناع أنواع الأسلحة، وكان به من أسرى المسلمين ما يزيد على مائة رجل، نُزعت القيود من أرجلهم وجُعلت فى أرجل الفرنج([٩٩]).

ولم تكن السياسة الخارجية جميعها رسائل ووفود دبلوماسية، فقد كانت سياسة السلطان إرسال رُسلُه ذوي الصبغة العسكرية؛ إذا أدرك من ملوك الفرنجة تكبرا وعنتا، ومن ذلك إرسال السلطان صلاح الدين الأيوبي أثناء إقامته بمدينة عكا (٥٨٣هـ/١١٨٧م) الأمير حسام الدين عمر بن لاجين (ت٥٩٧هـ/ ١١٩٢م)([١٠٠]) في مهمة دبلوماسية عسكرية إلى مدينة نابلس، وعند الوصول إليها لم يصغ لرسائله ومكاتبات السلطان؛ فتحولت الدبلوماسية إلى عسكرية صرفة، فقام الأمير حسام الدين وقواته بحصار قلعتها، واستنزل من بها بالأمان وتسلم قلعتها([١٠١]).

كما أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي قائده العسكري الأمير سيف الدين على المشطوب الهكاري ومعه عدد من أمراء الأكراد إلى بلاد الهكارية أثناء حصار الموصل (٥٨١هـ/١١٨٥م)، فوصل إلى العَقْر (قلعة حصينة بالموصل) وأعمالها لاستفتاح قلاعها واستغلال ضياعها، وكان له ما أراد وتحقق النصر([١٠٢]).

وتستوقفني ملاحظة هنا، وهي أن اختيار السلطان الناصر لأقربائه وخلصائه، لم يكن جميعها إقطاعا وعطايا، بل كان يكلفهم بالمهام القتالية ويدفعهم إلي الصفوف الأولى، قادة وجنود؛ ويبرز هنا الجانب الإيجابي في نزعة صلاح الدين القومية؛ إذ كان مدرك تماما لأهمية وجود أرباب ثقة يطمئن إليهم؛ لقيادة الجيش في ظروف عصيبة خلال فترة الحروب الصليبية، ويظهر الملحق رقم (١) بعض من أسماء الشهداء المقربين إلى صلاح الدين الأيوبي نسبا أو عرقا.

<u>- المطلب الثاني: الاستخبارات في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي:</u>

أحد أهم وظائف السياسة الخارجية وأخطرها على الإطلاق؛ لما تحمل من أسرار الدولة ودقائق أمورها، وتظهر أهمية الاستعانة بعصبة مقربة وذات وفاء وولاء منقطع النظير؛ حينما نعلم أن مولد الاستخبارات الأيوبية تزامن مع ظروف في غاية القسوة والتعقيد على كافة الأصعدة والمستويات الأمنية والعسكرية والسياسية والعقدية والاجتماعية والجغرافية، إذ إن بلاد الشام مشرذمة إلى كيانات متصارعة ذات أعراق وأجناس متعددة، ويتعصب كلٌ إلى عرقه وجنسه تعصبا أعمى مذموما؛ فكان ظهور طائفة الحشاشين أمرا منطقيا فى هذا المناخ السياسي والاجتماعي المضطرب، وزاد الطين بِلة اجتياح الصليبين لبلاد الشام ومحاولة الاستيلاء على أرض الحجاز، كما كانت مصر تقع تحت وطأة الحكم الفاطمي الذي لم يتورع عن إرسال الرسل للصليبيين؛ بغية العمل سويا للقضاء على السلاجقة ([١٠٣]).

كان على السلطان الناصر في وسط هذا الوضع المُرْبِك والمشوش؛ إنشاء جهاز استخبارات ذو كفاءة عالية وهنا يتجلى دور أولى العصبة والأوفياء، ففي مثل هذا الوضع لا مفر من لعب العصبة والمقربين هذا الدور الاستخباراتي الخطير، بل من كثرة الحيطة والتأكد من سلامة المعلومات، كان يقوم بالمهمة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بنفسه، إذ كان يتقدم إلى مواقع قريبة جدا من مواقع العدو الصليبي، فمن جهة يقف على الأمور بنفسه، ومن جهة أخرى، يبعث برسالة لفريقه وعصبته، إلى أي مدى أهمية الدور الذي يؤدون، وليس أدل على ذلك من قيام السلطان بنفسه تأديته. وكان يرأس الجهاز السلطان مباشرة، وهو الوحيد المخول بإصدار القرارات وفقا للحصيلة المعلوماتية الاستخباراتية ([١٠٤]).

وأسند السلطان قيادة بعض دوائر الاستخبارات لكبار قادته من خاصة الخاصة، وربما يكون هذا أخطر دور تلعبه العصبة في الدولة الأيوبية، بل أنه أخطر من عملية القتال نفسها، حيث أن القتال لا يحقق المنشود منه إلا بأخبار استخباراتية صائبة، لذلك كان السلطان يولي دوائر استخباراته لصفوة القادة من أبناء البيت الأيوبي، ومن رجال المخابرات الأيوبية: الملك العادل، والملك الفضل بن صلاح الدين الأيوبي، وعزالدين حرديك ونظائرهم([١٠٥]).

ووضع السلطان شروطا قاسية لاختيار رجل المخابرات، ولم يكن الولاء والإخلاص المطلق هو الشرط الوحيد، بل هناك شروط عدة كالذكاء وقوة الملاحظة والقدرة على التحليل، وأجادته للغة القوم الذى يؤدي المهمة في وسطهم، وتمتعه بلياقة عالية، ذو قدرة فائقة على تحمل المشاق والصبر على الآلام، تحسبا لوقوعه في الأسر، فلا يبوح حينئذ للأعداء بأسرار الدولة حين التعرض للتعذيب، وقد كان رجال الاستخبارات الأيوبية يتدربون على التعذيب من باب حُسن الإعداد والتمكن منه؟!! ([١٠٦]).

وتعد فرقة اليَزَك (الطلائع) من أهم فرق الاستخبارات الأيوبية لتعدد مهامها وخطورة ما تقوم به من عمليات لذا كان يتخير عناصرها من أهل النصح والنجدة والتجربة في الحرب، فكانت قيادتها تسند إلى كبار رجالات البيت الأيوبي، أمثال: الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي والملك العادل أخيه، وأقرانهما، فقد كانوا يقودون هذه الفرقة بالتناوب، وكذلك الإشراف على جودة التدريب الخاص بتقصي أخبار العدو ومعرفة خططه الحربية([١٠٧]). ويعطى رجل المخابرات بعد تخرجه جيادا هادئة سريعة ذات حوافر وظهر سليم تماما الذى معه يَصْعُب إثارتها، وكان رجال المخابرات لا يلبسون الدروع ولا يحملون التروس وغيرها من الأثقال المعيقة للحركة وسرعة الانتقال من وإلى([١٠٨]).

وتقدم فرقة (اليزك) تقاريرها الاستخباراتية مرتين يوميا، واتصفت تقاريرهم بالدقة المتناهية، ويشهد على ذلك وصفهم لعمليات الإعدام الجماعي للأسرى المسلمين بمدينة عكا بعد سقوطها في يد الصليبيين، إذ جاء وصفهم كما يلي" ثم أحضروا أسارى المسلمين وأوثقوهم بالحبال وجملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم صلبا وطعنا وضربا بالسيوف، وقتلوا منهم ثلاثة آلاف"([١٠٩]).

وقدمت تلك الفرقة تقارير غاية في الأهمية مكنت السلطان الناصر من الإيقاع بالصليبيين أكثر من مرة، كما قدموا مع مطلع العام (٥٨٧هـ/١١٩١م) تقريرا بتحركات القوات الصليبية عبر الساحل باتجاه عسقلان([١١٠])، ووفقا له، أمر السلطان صلاح الدين بملاحقة الحشود الصليبية والحيلولة دون تنفيذ مخططهم الهجومي، وبالفعل حدث ما أمر به وأشار([١١١]).

وكان لفرقة اليزك بجانب مهمتهم في جمع المعلومات الاستخبارية، القيام بعمليات اختطاف للقادة والمجندين من المعسكرات الصليبية ([١١٢])، كما كانوا يقومون بتفقد تحصينات المدن الإسلامية؛ لسد الخلل في أسوارها واستكمال تحصيناتها، كما يقدمون كذلك تقريرا مفصلا عن عتاد ومؤن العدو الصليبي، كما كان لهم دور هام أثناء العمليات العسكرية، وهو نصب الكمائن للقوات العدو الصليبي أثناء سيرها؛ لإرباكها قبل المعركة الفاصلة([١١٣])، كما تقوم بحفر الآبار لتزويد الجيش الإسلامي بالماء([١١٤]) وهي مهام لا تقل عن مهام أجهزة المخابرات في وقتنا الحاضر مع اختلاف الوسيلة والأسلوب، وهو ما يفصح عن عبقرية عسكرية للقائد والسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي.

وهكذا تبين أن جهاز الاستخبارات الأيوبي أنيط بمهامٍ جثام، ونجح في تحقيقها بامتياز كان لها فضلٌ كبيرٌ في الانتصار الإسلامي على الصليبيين وفتح بيت المقدس (٢٨ رجب ٥٨٣هـ/٢ تشرين الأول /أكتوبر١١٨٧م)، وتلك واحدة من إيجابيات النزعة القومية، فجهاز الاستخبارات ربما يكون من شروطه تفعيل دور النزعة القومية، شرطا أساسيا لنجاح المهام الاستخباراتية في تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي.

الخاتمة

(النتائج والتوصيات)

وصل بنا البحث إلى مرحلة الخاتمة، وقد أوضحت مباحثه ومطالبه، كيف كانت النزعة القومية؛ دافعا قويا إقامة دعائم الدولة الأيوبية عن طريق القائد والسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، الذي أقام من قومه درعا حاميا واقيا من كافة الأعداء داخليا وخارجيا، فاستطاع الانتصار على طائفة الحشاشين، تلك الطائفة التي حاولت اغتياله مرتان، ولم يحول دون ذلك إلا عصبة السلطان الناصر الذين بذلوا دمائهم؛ دفاعا عنه ونصرة له، وهو ما يبين أن اختياره أقربائه وخلصائه، لم يكن إلا بشرط الكفاءة قبل الثقة، وبالفعل فإن دورهم في تنفيذ مخططات السلطان الناصر الداخلية والخارجية سواء بالعمل على توحيد الصف الإسلامي تحت راية واحد، أو بالقضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية التي كانت تهدد مشروع الجهاد ضد الصليبيين بالوأد في المهد، كما يُبرز الدور الاستخباراتي للعصبة الصلاحية؛ إلى أي مدى كان لتقاريرهم وجهودهم في هذا المجال، واحدا من أهم أسباب النصر الخالد المبين، وهو ما يفصح عن دور النزعة القومية.

وتمخض البحث عن عددٍ من النتائج والتوصيات، على هذا النحو:

أولا : النتائج :

١ ـ كان الصراع بين الفاطميين وصلاح الدين الأيوبي صراعا سياسيا أكثر منه مذهبيا كما يصوره بعض المؤرخين ، والدليل أن هذا الصراع السياسي حدث بين أبناء البيت الأيوبي الواحد الذي يجمعهم مذهبا وعرقا واحدا.

٢ـ أدار الإسلام وجهة النزعة القومية صوب الوجهة الصحيحة، حيث جعل منها دافعا للحاكم وسندا لسياسته الداخلية والخارجية، وعليه الانضواء تحت راية الجماعة قبل مطالبة عصبته بذلك.

٣ـ يجب تجنب الجانب السلبي من العصبية القبلية ، وتجنب استقدام مَنْ يرى راية نفسه وأحلام هواه دون وضع المصلحة العامة وراية الإسلام فوق رأس الجميع ، وللأسف فقد أطلت العصبية القبلية بجانبها المقيت الذى جعل أبناء وأخوة وأقرباء السلطان الناصر يتعصبون ضد بعضهم البعض ؛ ذلك التعصب الذى أسقطهم جميعهم وهرول الحُكم الأيوبي إلى فسطاط العادلية والأيوبية بعدما أصابت الصلاحية آفة التعصب القبلي والعرقي بعد وفاة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٨٩هـ/١١٩٣م) ، فكما كانت سببا في النصر، كانت أيضا سببا للاندحار، وهو ما يعني أن العبرة بالمنهج وتطبيقه.

٤ـ كان الأيوبيون هم أصحاب أول جهاز استخباراتي محترف ذو هيئات وتنظيمات محددة ومقننة.

ـ ثانيا : التوصيات :

١. عقد مقارنة بين الصلاحيين زمن السلطان الناصر وبعد وفاته، والتي نخرج منها بفيض من الدروس والعبر ما أحوجنا إليها الآن !!.

٢. القيام ببحث عن التكتيات والأساليب العسكرية المستحدثة ـ آنذاك ـ في حروب السلطان الناصر ضد الصليبيين.

٣دراسة نشأة السلطان الناصر وأسلوب تربيته، فلا بد أنها كانت المكون الرئيس في شخصه المجاهد والإنسان والورع.

٤.القيام ببحث عن صلاح الدين الأيوبي في عيون أعدائه الذي كان محل إنصاف الكثير منهم.

الملاحق :

اسم الأمير	مكان استشهاده	السنة	المصدر
١-الأمير حسام الدين ابراهيم بن حسين المهراني.	أثناء حصار عسقلان	٥٨٣هـ/١١٨٧م	العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص٧٧.
٢-الأمير عز الدين عيسى بن مالك المقربي ابن صاحب قلعة جعبر شهاب الدين العقيلي.	على أبواب بيت المقدس	٥٨٣هـ/١١٨٧م	أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص٢١٨.
٣-الأمير جمال الدين شروين الزرزاري.	أثناء حصار بيت المقدس	٥٨٣هـ/١١٨٧م	أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص٢١٦.
٤-الأمير مجلي بن مروان.	أثناء حصار عكا	٥٨٥هـ/١١٨٩م	ابن الأثير، الكامل، مج١٢، ص١٣٧؛ الأصفهاني، الفتح القسي، ص١٩١.
٥-الأمير الظهير أخي الفقيه عيسى الهكاري.	أثناء حصار عكا	٥٨٥هـ/١١٨٩م	ابن الأثير، الكامل، مج١٢، ص٣٧.
٦-الأمير زامل.	أثناء وقعة الكمين	٥٨٥هـ/١١٨٩م	ابن شداد، النوادر، ص١٠١.
٧-الأمير حسام الدين طمان.	في تل العياضة	٥٨٥هـ/١١٨٩م	ابن شداد، النوادر، ص١٠٨.
٨-الأمير شكار موسك.	أثناء وقعة ارسوف	٥٨٧هـ/١١٩١م	ابن شداد، النوادر، ص١٨٤.
٩-الأمير غازي بن سعد الدين مسعود بن البصار.	أثناء حصار السلطان لشقيف أرنون	٥٨٥هـ/١١٨٩م	أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص١٤٤ ابن شداد، النوادر، ص٩٩.
١٠-الأمير سيف الدين محمود أخو الأمير جاولي الأسدي.	في حصن قريب من كوكب ويقال له عفربلاء	٥٨٣هـ/١١٨٧م	العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص١١٢-١١٣؛ ابن شداد، النوادر، ص٨٤.
١١-الأمير سوار.	أثناء الحصار في عكا	٥٨٦هـ/١١٩٠م	الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٧٤.
١٢-الأمير نصر الحميدي.	أثناء الحصار في عكا	٥٨٦هـ/١١٩٠م	الأصفهاني، الفتح القسي، ص٢٧٤.

أسماء بعض من شهداء الأمراء في الحروب الصليبية(ملحق رقم ١)

(بواعنة ، لؤى إبراهيم : الدور العسكري للأمراء فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٣-١١٩٣م)، مجلة وقائع تاريخية ، ع١٤، جامعة القاهرة ـ كلية الآداب ـ مركز البحوث والدراسات الاجتماعية (القاهرة١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، ص١٩٩

مناطق الصراع بين الأيوبيين والصليبين(ملحق رقم ٢)

الشامي ، أحمد : صلاح الدين والصليبيون (تاريخ الدولة الأيوبية) ، ط١، مكتبة النهضة العربية (القاهرة١٩٩١م)، ص٢٦٧.

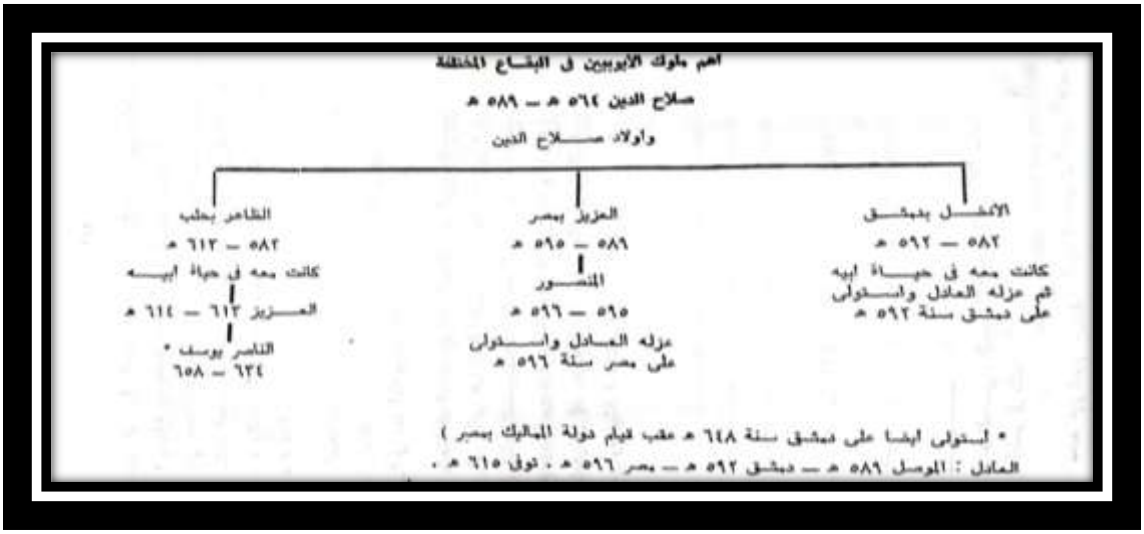

أولاد صلاح الدين الأيوبي (الأسرة الصلاحية) (ملحق رقم ٣)

علي ، وفاء محمد: دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربي(القاهرة١٩٨٩م) ، ص١٩٠.

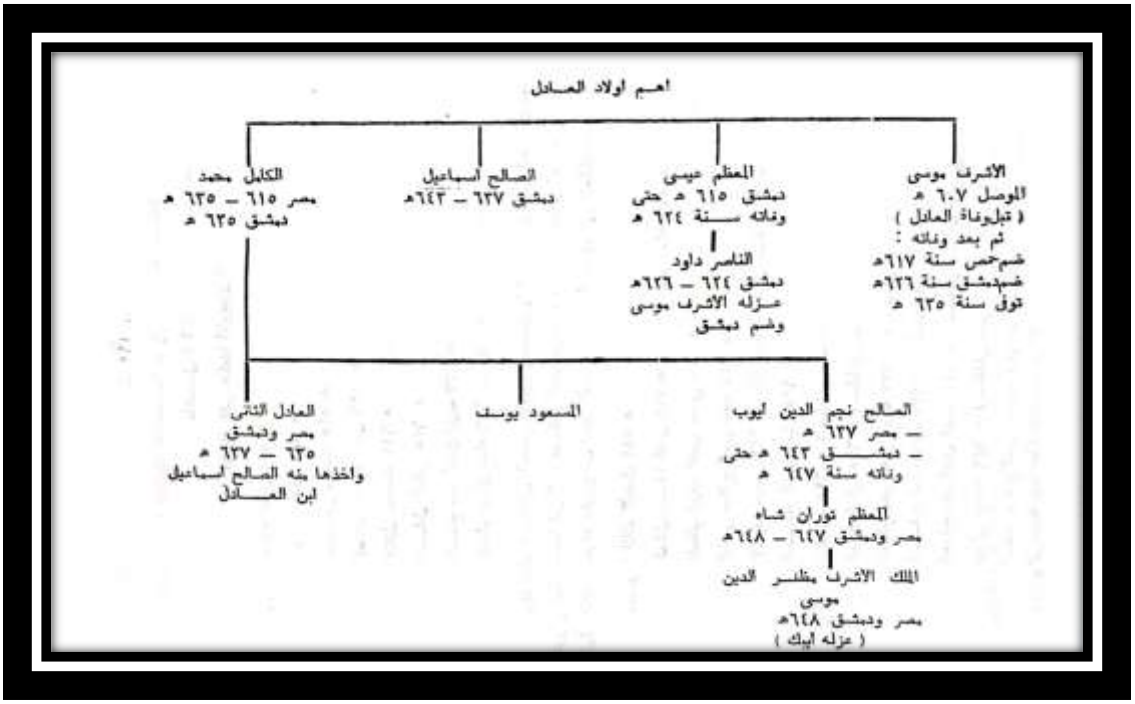

أولاد العادل (الأسرة العدلية) (ملحق رقم ٤)

علي ، وفاء محمد: دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربي(القاهرة١٩٨٩م) ، ص١٩١.

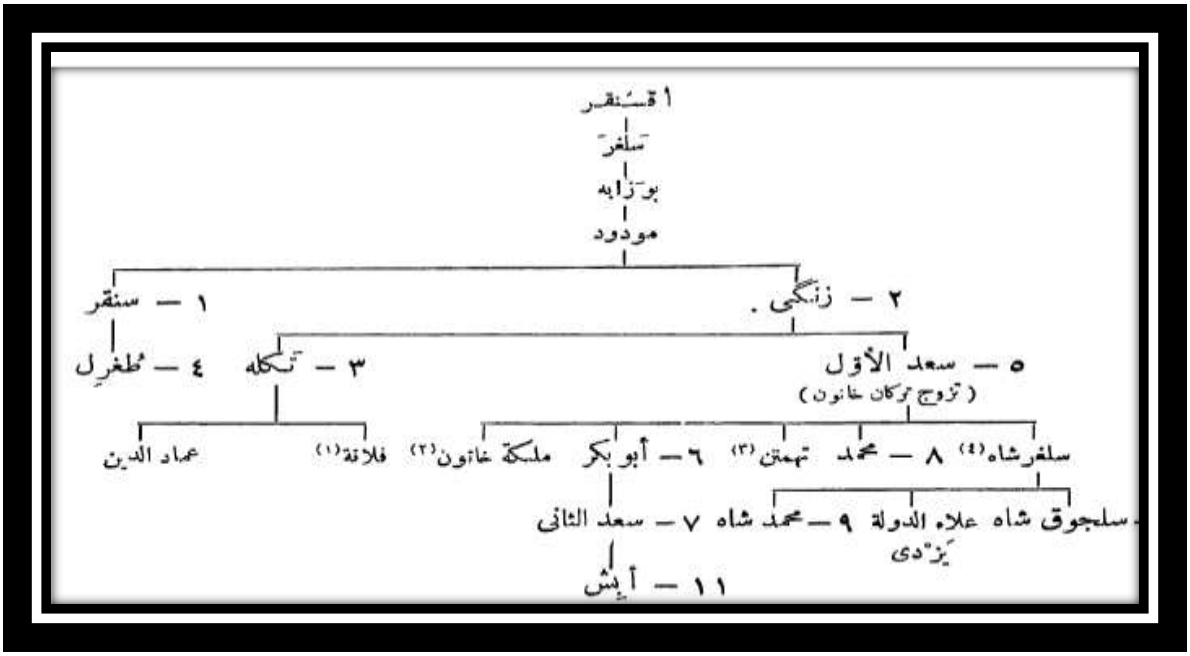

أصول السلاجقة والأتابكة (الدولة الزنكية) (ملحق رقم ٥)

زامْبارو : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، دار الرائد العربي (بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٣٥١.

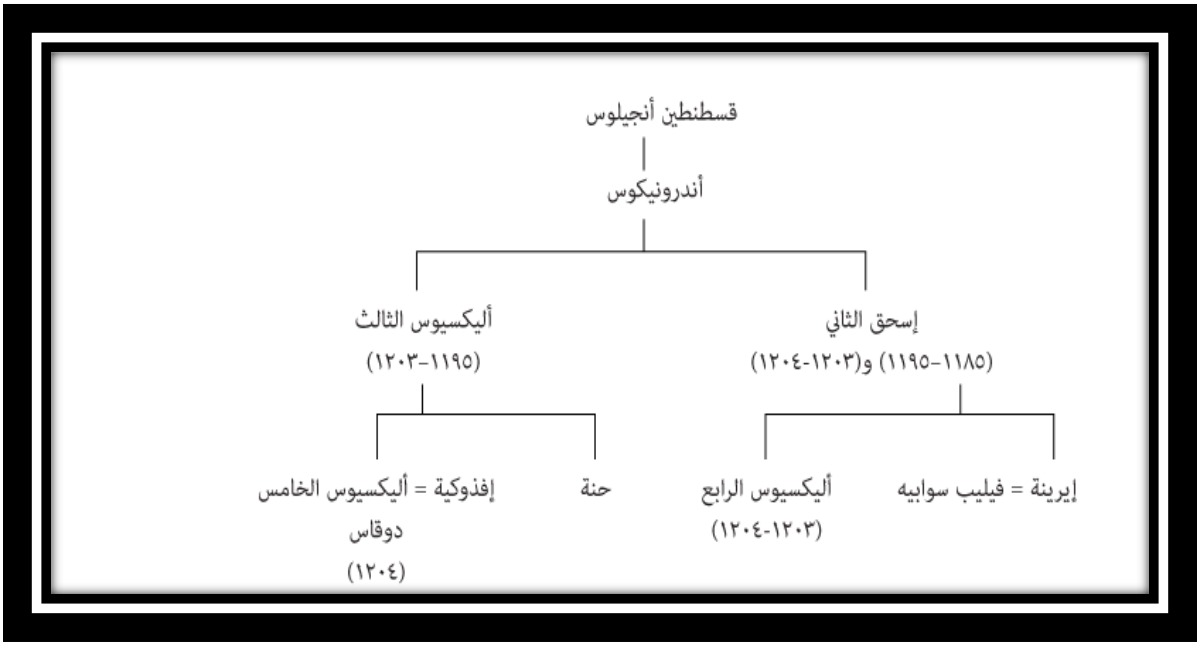

خارطة أسرة أنجليوس الصليبية (١١٨٥-١٢٠٤م) (ملحق رقم ٦).

ـ رستم ، أسد : الروم في سياستهم ، وحضارتهم ، ودينهم ،وثقافتهم ، وصلاتهم بالعرب ، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع (القاهرة ٢٠١٨م)، ص٤٥٦.

الهوامش

(١) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، .ج١، ص٢٤٥٣

(٢) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ويبدأ بمقدمة ابن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ١٩٧١م)، ج١، ص٢٣٥

(٣) الجابري، محمد العابد : فكر ابن خلدون (العصبية والقبلية)، ط٦، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، د.ت)، ص١٦٨

(٤) عبد الباسط، منادي، موسوعة ستانفورد للفلسفة (القومية)، مجلة الحكمة (بيروت، ٢٠١٧م)، ص٢

(٥) أوزكيريملي، أوموت، نظريات القومية (مقدمة نقدية)، ترجمة: معين الإمام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (قطر ٢٠١٣م)، ص٢

(٦) أحمد، نشر أكبر، الإسلام في المجتمعات القبلية، مجلة دار الاجتهاد، مج ٥، ع١٨، دار الاجتهاد للأبحاث والنشر والتوزيع (القاهرة١٤١٤هـ /١٩٩٣م)، ص٢٤٣

(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)، ج٩، ص٤١٠

(٨) توران شاه (ت ٥٧٧هـ/١١٨١م): توران شاه تعني (ملك الشرق) وهو ابن أيوب الأخ الأكبر للسلطان صلاح الدين الأيوبي، قاد حملة إلي بلاد النوبة ٥٦٨هـ ثم إلي اليمن، واستطاع السيطرة على معظم أجزائها ناب عن السلطنة في دمشق، ثم تحول إلي مصر مع العام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م)، توفي بالإسكندرية (٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)؛ فنُقل في تابوت إلي دمشق ودفن بالمدرسة الشامية عند شقيقته. ينظر: أبو شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق: عوض الله علي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص٢٧١.٢٧٣.

(٩) القوصي، عطية أحمد محمود، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط٢، دار المعارف المصرية، (القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ج١، ص٧٣.

(١٠) ابن العديم، زبدة الحلب، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص٣٥٧

(١١) حسن، أسامة، الناصر صلاح الدين الأيوبي، دار الأمل للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٣٢-٣٣

(١٢) مرعي، فرست، الدولة الأيوبية في بلاد اليمن (٥٦٩٦٢٨هـ/١١٧٣-١٢٣٠م)، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر (السليمانية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص٨-٩

(١٣) المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج٢، ص١٧٨

(١٤) محمود زنكي (٥٦٩.٥١١هـ/١١٧٤.١١١٨م): نور الدين محمود الزنكي صاحب دمشق الملقب بالشهيد، هو نور الدين، أبو القاسم، محمود بن الملك المنصور عماد الدين أبي الجود زنكي بن أقسنقر المدعو بالشهيد لما قتل والده عماد الدين زنكي، كان نور الدين معه حاضرا عنده، فأخذ خاتم والده وهو ميت من أصبعه، وسار إلي حلب، فملكها، وبلغ سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي قتل والده، فسار إلي الموصل، واستقر ملك سيف الدين غازي للموصل وبلادها ثم بعد قتل عماد الدين زنكي قصد صاحب دمشق مجير الدين حصن بعلبك، وحصره، وكان به نجم الدين أيوب بن شادي مستحفظا، فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم اتخاذه بالعاجل، فصالحه، وسلم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعا ومالا، وملكه عدة قرى من بلاد دمشق، وانتقل أيوب إلي دمشق، وسكنها، وأقام بها. وفي سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة دخل نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج واسترجع نيف وخمسين مدينة من الفرنج، خطب له بالحرمين الشريفين . قام بتحصين بلاد الشام وبني المدارس الكثيرة بدمشق كالعادلية التي أتمها بعده العادل أخو صلاح الدين الأيوبي، ومدرسة دار الحديث . وبني الجامع النوري بالموصل، والخانات في الطريق، كما بني المدرسة النورية للأحناف بدمشق، ووقف كتب كثرة، وكان محبا للعلم والعلماء، مات بعلة الخوانيق في قلعة دمشق، وقبره بالمدرسة النورية. ينظر: المقدسي الحنبلي، التاريخ المعتبر في أنباء مَنْ غَبَرَ، دار النوادر، (دمشق، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)، ج ٢، ص٦٠ - ٦١

(١٥) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ج٢، ص٨٠.

(١٦) الدولة الفاطمية: الفَاطِمِيون هم سلالة حاكمة من شمال إفريقيا ينسبون أنفسهم إلي نسل فاطمة الزهراء، واتخذوا من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهب لهم، حكموا الدولة الفاطمية وعاصمتها القاهرة من عام (٢٩٧-٥٦٧هـ/ ٩٠٩-١١٧١م)، أنشأ عبيد الله المهدي الخلافة الفاطمية عام ٩٠٩م بمساعدة قبائل شمال أفريقيا كان أبرزهم قبيلة كتامة و قبيلة لواته، ومن هناك، وسع الخلفاء الفاطميون حكمهم علي معظم بلاد المغرب الكبير وكذلك صقلية، و بتأسيس القاهرة كعاصمتهم الجديدة، سيكون الفاطميون علي مدي القرنين التاليين متمركزين في مصر ويرتبطون بسائر بلدان الخلافة المترامية. ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلي للشؤون الإسلامية، (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م)، ج١، ص ٦٨-٦٩.

(١٧) الهمذاني، حسين بن فيض الله، الصلاحيون والحركة الفاطمية في اليمن (٢٦٨-٦٢٦هـ)، ط٣، منشورات المدينة، (صنعاء، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص ٢٤١.

(١٨) أحمد، محمد عبد العال، دراسة في أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الأيوبي لبلاد اليمن، معهد المخطوطات العربية (القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م)، مج١٣،ج١، ص ٣٣٠.

(١٩) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج٢، ص ٢٢٥.

(٢٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٤٠٨.

(٢١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١٣، ص ٣٢٥.

(٢٢) الخليفة الفاطمي العاضد لدين لله (٥٤٦-٥٦٧هـ/١١٥١-١١٧١م): صاحب مصر ، العاضد لدين الله ، خاتم الدولة الفاطمية أبو محمد عبد الله بن الأمير يوسف بن الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر، العبيدي الحاكمي المصري الإسماعيلي، استوزر العاضد شيركوه فلم يطول، ومات بالخانوق بعد شهرين وأيام وقام بعده ابن أخيه صلاح الدين، وكان يضرب بشجاعة أسد الدين شيركوه المثل، ويخافه الفرنج، خلعه صلاح الدين وأنهي الدولة الفاطمية. ينظر: الذهبي، سير الأعلام، ج١٥، ص٢٠٨-٢١٢.

(٢٣) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج٢، ص١٨٤.

(٢٤) دار المعونة: ويطلق عليها أيضا (دار الفطرة)، وهي عبارة عن مطبخ كبير ضخم لصناعة أنواع الحلوي المختلفة، وبنيت هذه الدار في عهد الخليفة العزيز بالله، ويشتد العمل بها منذ النصف من شهر رجب حتي قبيل عيد الفطر؛ وبالإضافة إلي خدمتها العامة، كان يخرج منها

احتياجات القصر في الأعياد والمناسبات المختلفة. ينظر: سلطان، عبد المنعم عبد الحميد، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي (دراسة تاريخية وثائقية)، دار الثقافة العلمية، (الإسكندرية، ١٩٩٩م)، ص٣٤٤.

([٢٥]) الخوانق: أو الخوانق جمع خانكاه، وهي كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وابتدعت الخوانق في الدولة الإسلامية حوالي ٤٠٠هـ/١٠٠٩م. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية)، تحقيق: محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، (القاهرة،١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ج٢، ص٤١٤.

([٢٦])المقريزي ، كتاب الخطط المقريزية، مطبعة النيل، (القاهرة، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م)، ج٤، ص٢٨٢.

([٢٧]) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية، (دمشق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ج٨، ص٣٤٢-٣٤٣.

([٢٨]) القاضي ابن درباس (٥٧٦-٦٥٩هـ/ ١١٨٠-١٢٦١م): قاضي الديار المصرية الإمام الأوحد صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسي بن درباس بن فير بن جهم بن عبدوس الماراني الكردي الشافعي، مولده بالموصل، رحل في طلب الفقه، واشتغل بحلب، كان مشهورا بالصلاح والغزو، وطلب العلم، يتبرك بآثاره للمرضي،.و كان من جلة العلماء وفضلائهم، توفي إلي رحمة الله في خامس شهر رجب سنة خمس وستمائة وكان من أبناء التسعين. ينظر: الذهبي، سير الأعلام، ج٢١، ص٣٣٨.

([٢٩]) القاضي الفاضل عبد الرحيم اللخمي (٥٢٦-٥٩٦هـ/١١٣٥-١٢٠٠م): عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل، وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان (بفلسطين) وانتقل إلي الإسكندرية، ثم إلي القاهرة وتوفي فيها. كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقربيه، ولم يخدم بعده أحدا، قال بعض مترجميه: (كانت الدولة بأسرها تأتي إلي خدمته) وكان السلطان صلاح الدين يقول: (لا تظنوا أني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل!). ينظر: الزركلي، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ج٣، ص٣٤٦.

([٣٠]) القلقشندي، صبح الأعشي، ج١، ص١٣٠-١٣١.

([٣١]) ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، (القاهرة، د.ت)، ج١٢، ص٢٩١.

([٣٢]) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٦، ص١٥٧.

([٣٣]) المستضيء بأمر الله (٦٤٠- ٦٧٩هـ/ ١١٤٢- ١١٨٠م): الحسن أبو محمد بن المستنجد بالله. أمه أم ولد أرمنية اسمها غضة، بويع له بالخلافة يوم موت أبيه. قال ابن الجوزي: فنادي برفع المكوس ورد المظالم، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا، وفرق مالا عظيما علي الهاشميين والعلويين والعلماء والمدارس والربط، وكان دائم البذل للمال، ليس له عنده وقع، ذا حلم وأناة ورأفة، ولما استخلف خلع علي أرباب الدولة وغيرهم. السبب في إقامة الخطبة العباسية بمصر، السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار، (دمشق ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٣١٥-٣١٧.

([٣٤]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٦٤-٣٦٥.

([٣٥]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ٣٦٥.

([٣٦]) الحشاشون: طائفة شيعية إسماعيلية نزارية، انفصلت عن الفاطميين أواخر قرن (٥هـ/١١م)؛ لتدعو إلي إمامة نزار المصطفي لدين الله ومن جاء من نسله، أسّس الطائفة الحسن بن الصباح، الذي اتخذ من قلعة (آلموت) في فارس (إيران حاليا) مركزاً لدعوته وترسيخ دولته. اتخذ الحشاشون من الاغتيال السياسي لخصومهم مذهبا وقاعدة، فمن ضحاياهم : الوزير السلجوقي نظام الملك ، والخليفة العباسي المسترشد الراشد، وملك بيت المقدس الكونراد. قضي هولاكو المغول علي هذه الطائفة في بلاد فارس سنة١٢٥٦م حيث قام بالاستيلاء علي قلعة آلموت وعلي أكثر من١٠٠ قلعة من قلاعهم وإحراقها عن بكرة أبيها، كما تهاوت الطائفة في الشام علي يد الظاهر بيبرس سنة١٢٧٣م. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩٢.

([٣٧]) عموري الأول (١١٣٦-١١٧٤م): هو عموري الأول بن فولك ملك مملكة بيت المقدس، وكان سابقا كونت يافا وعسقلان، تولي مملكة بيت المقدس بعد وفاة أخيه بلدوين الرابع الذي لم ينجب، امتنع المصريون بعد عام من حكمه عم دفع الضرائب، فهاجم مصر زمن الفاطميين الذين استعانوا بنور الدين محمود وكان في جيشه صلاح الدين الأيوبي؛ فلبي النداء نور الدين، وقاد حملة بقيادة أسد الدين شيركوه ، وأزاح عموري عن مصر ، لتكون له خالصة فيما بعد. ينظر: الصوري، وليد، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن الحبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ج٤، ص٢٥-٢٦.

([٣٨]) صقلية: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام، من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهي مثلثة الشكل، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة، وبينها وبين ريو، وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينية. وهي أعجوبة من عجائب الدهر، فُتحت في أيام بني الأغلب علي يد القاضي أسد بن الفرات، وكان صاحب صقلية رجلا يسمي البطريق قسطنطين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م)، ج٣، ص٤١٦-٤١٧.

([٣٩]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١١، ص٤١٢.

([٤٠]) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج١، ص ٢٢١.

([٤١]) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، تحقيق: كمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، (القاهرة، د.ت)، ص٤٨.

([٤٢]) كمشتكين سعد الدين (٥٧٣هـ/١١٨٠م): (نائب حلب) للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين، قُتل الوزير أبو صالح ابن العجمي فتهموه به وحسنوا للصالح أمره فقبض عليه وقتل تحت العذاب لأن الخدام حسدوا مرتبته عند الصالح ومالوا إلي الوزير فجهز عليه سعد الدين المذكور من قتله وكانت قتلته (٥٧٣هـ/ ١١٨٠م). ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٧٦.

([٤٣]) أتابك: هو لقب الحاكم في الدولة الزنكية أو الأتابكية (٥١١هـ - ٦٦٠هـ/١٢٢٧- ١٢٦١م)، وهم أتراك الأصل وينتسبون إلي السلاجقة. ينظر: عبد الواحد الشيباني، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، مكتبة المثنى (بغداد، ١٩٦٣م)، ص٤-٦.

([٤٤]) راشد الدين سنان (٥٢٤-٥٨٩هـ/١١٣٠-١١٩٣م): هو سنان راشد الدين إمام الإسماعيلية الشآميين المشهور في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد غلب لقب "شيخ الجبل". واسمه الكامل أبو الحسن سنان بن سليمان بن محمد. ولد بالقرب من البصرة، وتلقي العلم في فارس. واختاره الإمام حسن الألموتي إماما لإسماعيلية الشام (النزارية). وظل يشغل هذا المنصب إلي أن توفي بقلعة مصياف عام (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، كان لسنان شأن هام في أمور مصر والشام السياسية في عصره، فقد أفلح في أن يصد عن شيعته الضغط المستمر من جانب الحكام المسلمين من أهل السنة، وخاصة صلاح الدين المشهور من ناحية، وضغط الصليبيين من ناحية أخري. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١٨٨-١٨٩.

([٤٥]) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ج٢، ص٢٤.

([٤٦]) عزاز: بفتح أوله، وتكرير الزاي، وربما قيلت بالألف في أولها، والعزاز الأرض الصلبة، وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم، وهي طيبة الهواء عذبة الماء. ينظر: ياقوت الحموي، ج٢، ص٢٣٠.

([٤٧]) الأدراع: جمع درع وهي الزردية، والدراعة والمدرع، ضرب من الثياب الثقيلة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ج٨، ص٨٢.

([٤٨]) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج١، ص ٢٥٨.

([٤٩]) مصياب: حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج٥، ص١٤٤.

([٥٠]) البنداري، سنا البرق الشامي وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، تحقيق: رمضان شلش، دار الكتاب الجديد، (بيروت،١٩٧١م)، ص٢١٩.

([٥١]) القلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، (القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، ج٤،ص٥٠.

([٥٢]) حتاملة، عبد الكريم عبده، صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوي المناوئة في بلاد الشام (٥٧٠-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م)، مجلة دارة الملك عبد العزيز، مج١٢، ع٢، (الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص١٦٠.

([٥٣]) السلاجقة: الدولة السلجوقية (٤٢٩-٥٩٠هـ/ ١٠٣٧-١١٩٤م) تنسب إلي سلجوق بن تقاق، أي القوس الجديد، وولد له سلجوق، ولما كبر قدمه ملك الترك لنجابته، ثم سعت به امرأة الملك إلي زوجها فخافه سلجوق وسار بجماعته ومن أطاعه من الجند من ديار الحرب إلي دار الإسلام فأسلموا جميعا واستمروا علي غزو كفار الترك. وتوفي سلجوق عن ١٠٧سنين من عمره وترك من الأولاد: أرسلان وميكائيل وموسي. ومن هؤلاء الأولاد وأعقابهم نشأت الدولة السلجوقية. ينظر: الحلبي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط ٢، دار القلم، (حلب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج٣، ص١١٠.

([٥٤]) الحارثي، عدنان محمد فايز، عمران القاهرة وخططها (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١١٩م)، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص٢٢٤.

([٥٥]) طقوش، محمد سهيل، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (٥٦٩-٦٦١هـ/١١٧٤-١٢٦٣م)، ط٢، دار النفائس، (بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٢١١.

([٥٦]) سليمان، نعمان الطيب، منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية، (القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص٣٧٨.

([٥٧]) طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ص٢١١.

([٥٨]) الملك الأفضل (٥٦٥-٥٩٢هـ/ ١١٦٩-١١٩٦م): أبو الحسن علي، الملقب الملك الأفضل نور الدين، ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان أكبر أولاد أبيه وإليه كانت ولاية عهده، ولما توفي السلطان صلاح الدين بدمشق، وكان الملك الأفضل في صحبته، استقل بمملكة دمشق واستقل أخوه الملك العزيز عماد الدين عثمان بالديار المصرية ، وبقي الملك الظاهر أخوهما بحلب، ودب الصراع بين الأبناء علي الحُكم والسيادة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج٣، ص٤١٩.

([٥٩]) الملك العزيز (٥٦٨- ٥٩٥هـ/ ١١٧١ ١١٩٨م): الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ كان نائبا عن أبيه في الديار المصرية لما كان أبوه بالشام، وتوفي أبوه بدمشق، فاستقل بملكتها باتفاق من الأمراء، توفي بها في الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٥١.

([٦٠]) تقي الدين عمر(٥٣٤- ٥٨٧هـ/ ١١٤٠-١١٩١م): الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي صاحب حماة، وأبو ملوكها، وكان زوج بنت السلطان الملك العادل، وجاءته منها أولاده مات في ذي القعدة سنة سبع عشرة وستمائة وتملك بعده ابنه قلج رسلان تسعة أعوام، وتلقب بالملك الناصر، وهو ابن أخت الملك المعظم، فعزله الكامل وولي أخاه الملك المظفر، وسجن قلج رسلان حتي مات بمصر. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص١٤٧.

([٦١]) الملك الظاهر (٥٦٨ -٦١٣هـ/ ١١٧٢-١٢١٦م): أبو الفتح وأبو منصور غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، الملقب الملك الظاهر غياث الدين صاحب حلب، كان ملكا مهيبا حازما متيقظا كثير الاطلاع علي أحوال رعيته وأخبار الملوك، عالي الهمة حسن التدبير والسياسة باسط العدل محبا للعلماء مجيزا للشعراء، أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بعد أن كانت لعمه الملك العادل، فنزل عنها وتعوض غيرها، وكانت ولادته بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة، وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية. وتوفي بقلعة حلب، ليلة الثلاثاء العشرين من جمادي الآخرة، سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بالقلعة. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٦-٧.

([٦٢]) الملك العادل (٥٤٠-٦١٥هـ/ ١١٤٥-١٢١٨م): أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، الملقب بالملك العادل سيف الدين، أخوه السلطان صلاح الدين، وكان الملك العادل قد وصل إلي الديار المصرية صحبة أخيه وعمه أسد الدين شيركوه، ولما تمهدت له البلاد قسمها بين أولاده، فأعطي الملك الكامل الديار المصرية والملك المعظم البلاد الشامية، والملك الأشرف البلاد الشرقية. وكان ملكا عظيما ذا رأي ومعرفة تامة قد حنكته التجارب، حسن السيرة جميل الطوية، وافر العقل، وتوفي في سابع جمادي الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة بعالقين، ونقل إلي دمشق ودفن بالعلقة ثاني يوم وفاته، ثم نقل إلي مدرسته المعروفة به ودفن في التربة التي بها. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤٠٩-٤١٠.

(٦٣) يوسف، أميرة مصطفي أمين، بطانة السوء الحاكمة في البلاط الأيوبي ودورها في نقل الحُكم من البيت الصلاحي إلي بيت العادل، مجلة المؤرخ المصري، ع ٣٢، جامعة القاهرة، (القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص٧٦.

(٦٤) الصلابي، علي محمد، صلاح الدين الأيوبي، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، ص٣٤٣.

([٦٥]) العربني، السيد الباز، مصر في عصر الأيوبيين، مطبعة الكيلاني الصغير، (القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ص٢٠٢.

([٦٦]) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية)، ج٢، تحقيق: محمد زينهم، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٢٤.

([٦٧]) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج١، ص٥١٣.

([٦٨]) الحارثي، عمران القاهرة وخططها، ص٤٠٣.

([٦٩]) ثورة العبيد في السودان: كان الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، طوال تسع سنوات الأولي من خلافة المستنصر هو صاحب السلطة في مصر وفي عهد الخليفة المستنصر بالله، ولكن بعد وفاة هذا الوزير سنة (٤٣٦هـ/ ١٠٤٥م) تغيّرت الأحوال والنظام السّياسي والإداري في الدولة

حيث تحكّمت السيّدة والدة الخليفة المستنصر بالله – السيّدة رصد – في أمور الدولة بسبب صغر سنّ الخليفة، وبعد أن جلبت العبيد السود السودان لتواجه بهم عسكر الأتراك، ممّا أدّي إلي صراع متواصل على السلطة)، لم تتّسم بالحكمة، كما أنها لعبت دورًا هامًّا في إفشاء الفتنة بين طوائف العسكر المختلفة وهي الفتنة الّتي أدّت إلي خراب البلاد. وعندما تولي صلاح الدين الأيوبي حاول هؤلاء العبيد إعادة سطوتهم أيام الفاطميين، ومن ثم قرروا العودة إلي القاهرة عن طريق الحدود الجنوبية وأعلنوا ثورتهم ضد صلاح الدين الأيوبي، ولكن تمكن أتباع صلاح الدين من القضاء عليها نهائيا. ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) : المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٣٣٤.

(٧٠) زكي، عبد الرحمن، القاهرة، ط٢، دار المستقبل، (القاهرة، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م) ، ص٥٩.

(٧١) طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ص٢١٢.

(٧٢) الفسطاط: شيدت الفسطاط عام(٢٠هـ/ ٦٤١م) علي يد القائد الاسلامي عمرو بن العاص بمساعدة القائد عبادة بن الصامت، كما أشرف عبادة بنفسه علي بناء مسجد عمرو بن العاص، بما في ذلك القبلة. كان السكان الأوائل للمدينة يتألفون بالكامل تقريبًا من الجنود وعائلاتهم، وكان تخطيط المدينة مشابهًا لتخطيط الحامية. قصد عمرو أن تكون الفسطاط قاعدة يتم من خلالها فتح شمال إفريقيا، بالإضافة إلي إطلاق المزيد من الحملات ضد البيزنطيين. وظلت القاعدة الأساسية للتوسع الإسلامي في إفريقيا حتي تأسست القيروان في تونس عام(٥٠هـ/ ٦٧٠م). ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٦٠-٢٦١-٢٦٢.

(٧٣) المقريزي، خطط المقريزي، ج٤، ص٢٠٠.

(٧٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٠٢.٢٠٣.

(٧٥) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات واسعة الرقعة حفلة الأسواق، يحيط بها سور محكم، وبظاهر السور حاضر كبير جدا، فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف علي نهرها المعروف بالعاصي، عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتصب إلي بركة جامعها، ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لأنه منحط عن المدينة، ويسمون المسور السوق الأعلي، وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثر للملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٠.

(٧٦) ست الشام (٥٤٢- ٦١٦هـ/ ١١٤٥ - ١٢٢٠م): ست الشام بنت الأمير نجم الدين أيوب أخت السلطان الناصر والعادل وشقيقة المعظم تورانشاه، كانت امرأة عظيمة القدر من بيت المال والرياسة التامة، والسيادة العامة مع ديانة عظيمة وصدقات جسيمة وصلات متصلة، وصلوات متقبلة كانت يفرق في السنة في دارها من الأكحال، والعقاقير، والأدوية على المرضى، وأرباب الحاجات بمبلغ كبير ومال كثير، ووقفت على الشافعية مدرسة بناحية الغربية ظاهر دمشق، ولها بها تربة ولزوجها، وأخيها، ووقفت عليهم دارها بدمشق، ولها بدمشق مدرسة أخرى، وأرصدت عليهما أوقافا جزيلة الريع، وكانت وفاتها في سادس عشر ذي القعدة سنة ست عشرة وست مائة. ينظر: ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عرب، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٧٩٢.

(٧٧) ربيعة خاتون (٥٦١هـ- ٦٤٣هـ/١١٦٦م- ١٢٤٥م): ربيعة بنت أيوب (نجم الدين) بن شاذي ابن مروان، أخت السلطان صلاح الدين الايوبي، كانت فاضلة تقية، وهي التي بنت المدرسة الحنبلية في جبل الصالحية بدمشق، وجعلت لها أوقافا. توفيت بدمشق. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٦.

(٧٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٨٤.

(٧٩) السلطان الظافر(٥٦٨-٦٢٧هـ/١١٧٣-١٢٣٠م): الخضر بن يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان، أبو الدوام، وقيل أبو العباس بن أبي المظفر الملقب بالملك الظافر بن الملك الناصر وكان جوادا سخيا شجاعا عارفا بالتواريخ وأيام الناس، وكان من جلة بني الملك الناصر يوسف بن أيوب وكان ينبز بالملك المشمر، بحيث أنه غلب علي لقبه الملك الظافر، وأقام بحلب عند أخيه الملك الظاهر غازي سنين عديدة، وسكن بالياروقية ظاهر حلب، وابتني بها منازل وحماما، فلما مرض الملك الظاهر مرضته التي توفي فيها خاف منه على ابنه الملك العزيز محمد، فأمر برحيله من حلب، وأقطعه اقطاعا حسنا مضافا الي ما كان له عليه، فتوجه الي منبج ومات الملك الظاهر، فلم يتم له أمر الاقطاع، فتوجه الي أخيه وشقيقه الملك الأفضل علي الى سميساط وأقام بها الى أن مات الملك الأفضل، فانتقل الى حران وأقام بها عند ابن عمه الملك الأشرف موسي بها الى أن توفي بها. ينظر: ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٥م)، ج٧، ص٣٢٥- ٣٢٨.

([٨٠]) النقلي، آسيا بنت سليمان، السفارات المتبادلة في عصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٩-١١٩٣م)، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، (دمشق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، مج٤٠، ص٤٣٥.

([٨١]) أبو سعيد، حامد غنيم، مراكز القوي والدولة الأيوبية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ع ٧، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، (الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص٥٥.

([٨٢]) أبو سعيد، مراكز القوي والدولة الأيوبية، ص٥٥.

([٨٣]) إربل: قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، في فضاء من الأرض واسع بسيط، ولقلعتها خندق عميق، وهي في طرف من المدينة، وسور المدينة ينقطع في نصفها، وهي على تل عال من التراب، عظيم واسع الرأس، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، وهي شبيهة بقلعة حلب، إلا أنها أكبر وأوسع رقعة، وطول إربل تسع وستون درجة ونصف، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف وثلث، وهي بين الزابين، تعد من أعمال الموصل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٨.

([٨٤]) شهرزور: بالفتح ثم السكون، وراء مفتوحة بعدها زاي، وواو ساكنة، وراء، وهي في الإقليم الرابع، طولها سبعون درجة وثلث، وعرضها سبع وثلاثون درجة ونصف وربع، وهي كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زور بن الضحاك، ومعني شهر بالفارسية المدينة، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. ينظر: ياقوت الحموي، ج٣، ص٣٧٥.

([٨٥]) الملك مظفر الدين كوكبري (٥٤٩ - ٦٣٠هـ/١١٥٣- ١٢٣٢م): السلطان الدين الملك المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني صاحب إربل وابن صاحبها وممصرها الملك زين الدين علي كوجك، وكوجك هو اللطيف القد، كان كوجك شهما شجاعا مهيبا، تملك بلادا كثيرة، ثم وهبها لأولاد صاحب الموصل، وتوفي في سنة ثلاث وستين وخمسمائة وله أوقاف وبر ومدرسة بالموصل، فلما مات تملك إربل ابنه هذا وهو مراهق، وصار أتابكه مجاهد الدين قيماز ، فعمل عليه قيماز وكتب محضرا بأنه لا يصلح للملك وقبض عليه وملك أخاه زين الدين يوسف ، فتوجه مظفر الدين إلي بغداد فما التفتوا عليه ، فقدم الموصل على صاحبها سيف الدين غازي بن مودود، فأقطعه حران، فبقي بها مديدة، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وغزا معه. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص٣٣٥-٣٣٦.

([٨٦]) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، قيل: سميت بهاران أخي إبراهيم، عليه السلام، لأنه أول من بناها فعربت فقيل حران، وذكر قوم أنها أول مدينة بنيت علي الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل الصابئة وهم الحرانيون. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥.

([٨٧]) الرها: بضم أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرهاء بن البلندي بن مالك ابن دعر، وقال قوم: إنها سميت بالرها ابن الروم بن لنطي بن سام بن نوح، عليه السلام. وقال يحيي ابن جرير النصراني: الرها اسمها بالرومية أذاسا، بنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر، بناها الملك سلوقس. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٠٦.

([٨٨]) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج٢، ص٥٥.

([٨٩]) نابلس: بضم الباء الموحدة واللام، والسين مهملة، وسئل شيخ من أهل المعرفة من أهل نابلس لم سميت بذلك فقال: إنه كان هنا واد فيه حية قد امتنعت فيه وكانت عظيمة جدا وكانوا يسمونها بلغتهم (لس) فاحتالوا عليها حتى قتلوها وانتزعوا نابها وجاءوا بها فعلقوها على باب هذه المدينة فقيل: هذا ناب لس، أي ناب الحية، ثم كثر استعمالها حتى كتبوها متصلة نابلس هكذا وغلب هذا الاسم عليها. وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ، ولها كورة واسعة وعمل جليل كله في الجبل الذي فيه القدس، وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم، عليه السلام، سجد فيه، وبها الجبل الذي تعتقد اليهود أن الذبح كان عليه وعندهم أن الذبيح إسحاق، عليه السلام، وللهود في هذا الجبل اعتقاد أعظم ما يكون واسمه كزيرم، وهو مذكور في التوراة، والسمرة تصلي إليه، وبه عين تحت كهف يعظمونها ويزورها السمرة ولأجل ذلك كثرت السمرة بهذه المدينة. ينظر: ياقوت الحموي، ج٥، ص٢٤٨.

([٩٠]) الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري (٥٢٤-٥٨٨هـ/١١٣٤-١١٩٢م) : الأمير سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء ابن عبد الله بن أبي الخليل ابن مرزبان الهكاري المعروف بابن المشطوب الملقب عماد الدين، والمشطوب لقب والده، وإنما قيل له ذلك لشطبة كانت بوجهه؛ كان أميرا كبيرا وافر الحرمة عند الملوك، ولم يكن في أمراء الدولة الصلاحية أحد يضاهيه ولا يدانيه في المنزلة وعلو المرتبة، وكانوا يسمونه الأمير الكبير، وكان ذلك علما عليه عندهم لا يشاركه فيه غيره، وهو كبير الأكراد ورئيسهم ، وكانت وفاة سيف الدين يوم الخميس السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بنابلس. ينظر : ياقوت الحموي ، ج١، ص١٨٢-١٨٣.

([٩١]) الهكارية: واحدة من قبائل الأكراد ذات الباع في الجهاد والسياسة. ومن أشهرهم الأمير عماد الدين أحمد ابن الأمير سيف الدين أبي الحسين علي بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٤، ص٢٢٠.

([٩٢]) نصيبين: بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح، مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، وبينها وبين الموصل ستة أيام، وبين دنيسر يومان عشرة فراسخ، وعليها سور كانت الروم بنته وأتمه أنوشروان الملك عند فتحه إياها. ينظر: ياقوت الحموي، ج٥، ص٢٨٨.

([٩٣]) أبو الهيجاء السمين (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م): هو حسام الدين الكردي، قدم بغداد، وبعثه الخليفة إلى همذان، فلم يتم له أمر، واختلف الأمراء عليه، وتفرق عنه أصحابه، فخاف من الخوارزمي، واستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشام على دقوقا، فلما وصل إليها مرض، وأقام بها أياما، فتوفي، وكان نازلا على تل، فقال: ادفنوني فيه، فحفروا له قبرا على رأس التل، فظهرت بلاطه عليها اسم أبيه، فدفنوه عليه. ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢٢، ص٦٧.

([٩٤]) ابن تغري البردي، النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٦-١٧.

([٩٥]) طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص١٠٧.

([٩٦]) ابن كثير، البداية والنهاية، ص١٣٢.١٣٣.

([٩٧]) طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص١٠١.

([٩٨]) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٨، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٢٦٤.

([٩٩]) طقوش، تاريخ الأيوبيين، ص١٣٣.

([١٠٠]) الأمير حسام الدين عمر بن لاجين (ت٥٩٧هـ/ ١١٩٢م): أبرز أعوان السلطان صلاح الدين الأيوبي، ويلقب بالملك المنصوري، فتحت عله يديه عسقلان، والوالدته ست الشام بنت الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب صاحب حماة، واقفة الشاميتين بدمشق، توفي ليلة الجمعة التاسع عشر من رمضان أيضا ففجع السلطان بابن أخيه وابن أخته في ليلة واحدة، وقد كانا من أكبر أعوانه، ودفن بالتربة الحسامية، وهي التي أنشأتها أمه بمحلة العونية، وهي الشامية البرانية. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٣٤٧.

([١٠١]) ابن الأثير، الكامل في تاريخ، ج١١، ص٥٤٠.

([١٠٢]) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج٣، ص١٤٨.

([١٠٣]) السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، (بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص٣٩٣-٣٩٤.

([١٠٤]) البنداري، سنا البرق الشامي، ص١٢٤.

([١٠٥]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٠.

([١٠٦]) البلوي، سلامة محمد الهرفي، المخابرات في الدولة الإسلامية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب (الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٢٣٠-٢٣١.

([١٠٧]) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج٤، ص٢٧٤.

([١٠٨]) حسين، محسن محمد، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبه ، تنظيمه ، أسلحته ، بحريته)، وأبرز المعارك التي خاضها)، دار ئاراس للطباعة والنشر، (العراق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص١١٣-١١٤.

([١٠٩]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٢١.

([١١٠]) عسقلان: فتح أوله، وسكون ثانيه ثم قاف، وآخره نون، وعسقلان في الإقليم الثالث من جهة المغرب خمس وخمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة، وهو اسم اعجمي فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فان كانت عربية فمعناه أنها في أعل الشام: وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين عل ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام وكذلك يقال لدمشق أيضا. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٢٢.

([١١١]) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص٢٢٣.

([١١٢]) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،، ص١٨٠-١٨١.

([١١٣]) ابن واصل، ممفرج الكروب، ج٢، ص٢٨٧.

([١١٤]) أبو شامة المقدسي، الروضتين، ج٤، ص٢٦٦.

المصادر والمراجع

أولًا- المصادر:

ابن الأثير، أبو الحسن عزالدين علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)

١- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، مكتبة المثنى (بغداد، ١٩٦٣م).

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م) .

الأزهري: الإمام أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م)

٣- اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، تهذيب الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

البنداري، قوام الدين الفتح بن علي، (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)

٤- سنا البرق الشامي وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، ط١، تحقيق رمضان شلش، دار الكتاب الجديد(بيروت، ١٩٧١م).

ابن تغرى بردي، يوسف بن عبدالله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م)

٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

زامْبارو:

٦- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي (بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)

٧- الأعلام ،ط١٥، دار العلم للملايين (بيروت، ٢٠٠٢م) .

جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

٨- تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار (دمشق، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م).

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون ويبدأ بمقدمة ابن خلدون، منشورات مؤسسة الأعلمي، (بيروت، ١٩٧١م).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

١٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٨٨م)

سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)

١١- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، دار الرسالة العالمية (دمشق، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)

أبو شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)

١٢- فوات الوفيات، تحقيق: عوض الله علي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)

ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين بن شداد الموصلى (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)

١٣- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، تحقيق: الشيال كمال الدين، مكتبة الخانجى (القاهرة،)

أبو شامة ، المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)

١٤- الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

١٥- زبدة الحلب، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)

الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٣م)

١٦- نهر الذهب في تاريخ حلب، ط ٢، دار القلم، (حلب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)

القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)
١٧- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، (القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)
ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)
١٨- البداية والنهاية، مطبعة السعادة، (القاهرة، د.ت)
١٩- طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عرب، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)
المقدسي الحنبلي، مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٢م)
٢٠- التاريخ المعتبر في أنباء مَنْ غَبَرَ، دار النوادر، (دمشق، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)
المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر أبي العباس الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥هـ/ ٩٢٣م)
٢١- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧م)
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت١٣٦٤هـ/ ١٤٤٢م)
٢٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ (الخطط المقريزية)، تحقيق: زينهم محمد، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)
ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبي الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت ٧١١هـ/ ١٣١٢م)
٢٣- لسان العرب ، ط٢، دار صادر (بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)
النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)
٢٤- نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) .
ابن واصل، محمد بن سالم بن نصرالله المازني (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م)
٢٥- مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)
ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر أبو الفحص (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
٢٦- تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية (بيروت١٤١٧هـ/١٩٩٦م)
ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)
٢٧- معجم البلدان، ط٢، دار صادر (بيروت، ١٩٩٥م)

ثانيا- المراجع:

أحمد، محمد عبد العال:
١- دراسة في أقوال المؤرخين عن أسباب الفتح الأيوبى لبلاد اليمن، معهد المخطوطات العربية (القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٦٧م)
أوزكيريملي، أوموت:
٢- نظريات القومية (مقدمة نقدية): ترجمة: معين الإمام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (قطر، ٢٠١٣م)
البلوي، سلامة محمد الهرفي:
٣- المخابرات في الدولة الإسلامية، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب (الرياض، ٤١٠١هـ/١٩٨٩م)
حسين، محسن محمد:
٤- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (تركيبه، تنظيمه، أسلحته، بحريته، وأبرز المعارك التي خاضها)، دار ئاراس للطباعة والنشر، (العراق، ٤٢٣١هـ/٢٠٠٢م)
الجابري، محمد العابد:
٥- فكر ابن خلدون (العصبية والقبلية)، ط٦، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، د.ت)
الحارثي، عدنان محمد فايز:
٦- عمران القاهرة وخططها (٥٦٤-٥٨٩هـ/١١٦٨-١١١٩م)، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)

الشامي، أحمد:
٧- صلاح الدين والصليبيون (تاريخ الدولة الأيوبية)، مكتبة النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٩١م)
الصلابى، على محمد: صلاح الدين الأيوبي، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
٨- الصوري، وليد: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن الحبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٥م)
علي، وفاء محمد:
٩- دراسات في تاريخ الدولة الأيوبية، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٨٩م)
العرينى، السيد الباز:
١٠- مصر فى عصر الأيوبين، مطبعة الكيلانى الصغير (القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)
القوصي، عطية أحمد محمود:
١١- تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ط٢، دار المعارف المصرية (القاهرة،١٤٠١هـ/١٩٨١م)
حسن، أسامة:
١٢- الناصر صلاح الدين الأيوبي، دار الأمل للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)
رستم، أسد:
١٣- الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠١٨م)
زكي، عبد الرحمن:
١٤- القاهرة، ط٢، دار المستقبل، (القاهرة، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)
سلطان، عبد المنعم عبد الحميد:
١٥- الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، (دراسة تاريخية وثائقية)، دار الثقافة العلمية، (الإسكندرية، ١٩٩٩م)
سليمان، نعمان الطيب:
١٦- منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م)
طقوش، محمد سهيل:
١٧- تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة (٥٦٩-٦٦١هـ/١١٧٤-١٢٦٣م)، ط٢، دار النفائس، (بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
مرعي، فرست:
١٨- الدولة الأيوبية في بلاد اليمن (٥٦٩-٦٢٨هـ/١١٧٣-١٢٣٠م)، مؤسسة حمدي للطباعة والنشر، (السليمانية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)
الهمذاني، حسين بن فيض الله:
١٩- الصلاحيون والحركة الفاطمية في اليمن (٢٦٨-٦٢٦هـ)، ط٣، منشورات المدينة (صنعاء، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)

ثالثا- المجلات:

أحمد نشر أكبر:
١- الإسلام في المجتمعات القبلية، مجلة دار الاجتهاد، مج ٥، ع١٨، دار الاجتهاد للأبحاث والنشر والتوزيع (القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)
بواعنة، لؤى إبراهيم:
٢- الدور العسكري للأمراء فى عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٣-١١٩٣م)، مجلة وقائع تاريخية، ع١٤، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، (القاهرة، 1431هـ/٢٠١٠م)
النقلي، آسيا بنت سليمان:
٣- السفارات المتبادلة في عصر صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩هـ/١١٧٩-١١٩٣م)، مجلة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث (دمشق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)
حتاملة، عبد الكريم عبده:

٤- صلاح الدين الأيوبي وموقفه من القوى المناوئة في بلاد الشام (٥٧٠-٥٨٩هـ/١١٧٤-١١٩٣م)، مجلة دارة الملك عبد العزيز، مج١٢، ع٢، (الرياض١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)

أبو سعيد، حامد غنيم:

٥- مراكز القوي والدولة الأيوبية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ع ٧، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية (الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)

عبد الباسط، منادي:

٦- موسوعة ستانفورد للفلسفة (القومية)، مجلة الحكمة (بيروت، ٢٠١٧م)

يوسف، أميرة مصطفى أمين:

٧- بطانة السوء الحاكمة في البلاط الأيوبي ودورها في نقل الحُكم من البيت الصلاحي إلى بيت العادل، مجلة المؤرخ المصري، ع ٣٢، جامعة القاهرة (القاهرة١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)